ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

فقيام دين الله بالإخلاص والإحســـان إنهما له أصلان

لم ينج من غضب الإله وناره إلا الذي قامت به الأصلان

فضيلة الشيخ

أبو نور/ أشرف عبد المنعم

محفوظة جميع الحقوق

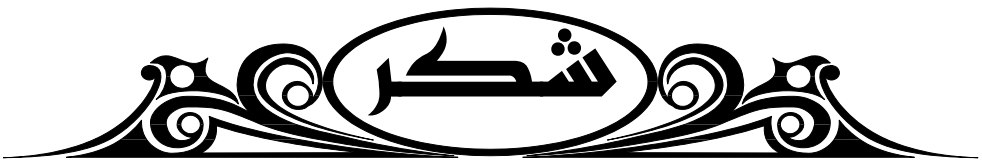

شكراً لك يا رب على إنعامك وإحسانك ....

فكل خير إيما جاء من فضلك ،

وكل سبب لمعروف إيما هو من عندك ،

ولا حول ولا قوة إلا بك .

ثم الشكر موصول لكل ذي فضل علينا...

من والد مُربٍ ....

وشيخ مُعلمٍ ....

وأخ ناصح ....

وتلميذ صالح ....

إعترافاً بالجميل ، من عبد فقير ... .

أبو نور

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (1).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (3).

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كلام الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة ، وكل ضلالةٍ في النار(٤).

هذه رسالة مختصرة فى شرح الشهادتين :

" لا إله إلا الله – محمد رسول الله ﷺ " ؛ إذ هما الأصلان العظيمان اللذان يقوم الدين عليهما كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وجماع الدين أصلان : أن لا نعبد إلا الله . ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع . كما قال – تعالى– : ﴿ قُل إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ

---

(1) [١٠٢ – آل عمران] .

(2) [١ – النساء] .

(3) [٧٠ : ٧١ – الأحزاب] .

(4) راجع رسالة الشيخ الألباني– رحمه الله – التي جمع فيها طرق أحاديث خطبة الحاجة .

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1] وذلك تحقيق الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ"[2] .

هذه رسالة موجهة لمن حاز مفردات فى العقيدة الصحيحة من مثل : **الأصول الثلاثة** للإمام محمد بن عبد الوهاب مع أحد شروحها ، و**رسائل سلسلة التوجيهات** لمحمد جميل زينو، و**تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران** لأحمد بن حجر آل بوطامى – رحمة الله عليهم جميعاً – ، وهذا الأخير من المهم أن يطالع قبل التعامل مع هذه الرسالة .

هذه رسالة تهدف إلى :

[١] إيضاح منهج فى تلقى العقيدة والتعامل معها ؛ حتى يقوم الدين – حقيقة – كله عليها ، وترى أثارها فى أهلها الذين انغرست فى أعماق قلوبهم فثبتت معانيها على ظواهرهم [٣].

[٢] تحديد محاور أصلي العقيدة وكلياتها ، وربط الجزئيات بتلك المحاور تحت كليات واضحة[4].

(1) [١١٠ – الكهف] .

(2) [٦٥] العبودية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المدني " بجدة " [١٩٨٦] .

(3) انظر : [مثل فاحضر قلبك] فى هذه المقدمة ص ٨ .

(4) انظر "مخطط شرح الشهادة الأولى" ص ١٣ .

تمهيد

وكما جعل الله – عز وجل – الإيمان هو المصلح للإنسان ، فقد هيَّأ – تعالى – الإنسان لهذا الإيمان ، وذلك كما يلي :

الإنسان وقلبه

لكل إنسان قلب، بل القلب لبقية الأعضاء" كالملك المتصرف فى الجنود الذي تصدر كلها عن أمره ، ويستعملها فيما شاء ، فكلها تحت عبوديته وقهره ، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبي ﷺ : " **ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله** "[1] فهو ملكها،وهي المنفذة لما يأمرها به ، القابلة لما يأتيها من هديته ،ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته ، وهو المسئول عنها كلها ؛ لأن كل راع مسئول عن رعيته"[2].

ولما كان في القلب قوتان:

"(١) قوة العلم والتمييز،(٢) قوة الإرادة والحب"[٣] .

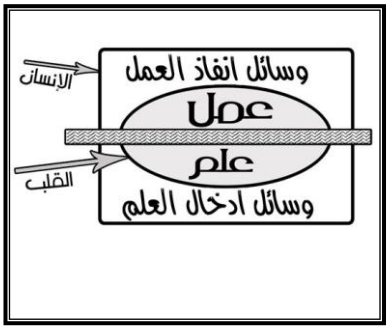

شكل توضيحي

وبقية الأعضاء في الإنسان تابعة للقلب كما سبق، كانت بقية الأعضاء :

(١) إما وسائل لإدخال العلم ،

(٢) أو وسائل لإنفاذ الإرادة – العمل-

وكان للإنسان " قوتان(١) قوة علمية نظرية ،

(٢) وقوة عملية إرادية"[4] ،

بما يمكن أن نمثله فى الشكل التالي :

---

(1) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٥٢) في كتاب الإيمان ، ومسلم برقم (١٥٩٩) في كتاب المساقاة ، عن النعمان بن بشير – رضى الله عنهما – .

(2) **[٥/١]** إغاثة اللهفان لابن القيم – ط . دار المعرفة بتحقيق محمد حامد الفقي.

(3) **[٢٤/١]** السابق .

(4) **[٣٩]** الفوائد لابن القيم – ط . دار البيان بتحقيق بشير محمد عيون .

العلم والعمل

والعلم معناه:" نقل صورة الشيء[١] من الخارج وإثباتها في النفس بشرط الموافقة:

١- فإن كانت الصورة التى فى نفس تطابق الحقيقة التى فى الخارج : كان هذا علماً صحيحاً .

٢- وإن كانت الصورة التى فى النفس تخالف الحقيقة التى فى الخارج : كان هذا علماً خاطئاً – فلا يطلق عليه لفظ العلم إلا بهذا القيد لخروجه عن شرطه – .

٣- وإن كانت الصورة التى فى النفس لا حقيقة لها فى الخارج : فهذا هو الوهم – فلا يطلق عليه لفظ العلم بحال – .

والعمل معناه : " نقل صورة الشيء من النفس وإثباتها فى الخارج " – أي: خارج الذهن، وإن كان العمل في الداخل أي : من أعمال القلوب – [٢] .

فنخلص من ذلك بنتيجتين :

١- إن الصورة المعلومة فى النفس – سواء أكانت على شرط العلم أم لا – دائماً سابقة على العمل بها ، بل هي الداعية إلى العمل [٣].

٢- إن العمل دائماً لا يوجد – أعنى : العمل الإرادي – إلا متضمناً لعلم ما – سواء أكان على شرط العلم أي : الصحيح أم لم يكن كذلك – .

وينقسم العلم إلى :

١- **ضروري** – أي : فطري – : وهو البدهيات التي يشترك فيها العقلاء ، يولدون بها وتظهر مع الزمن[٤].

٢- **ومُكْتَسَب** : وهو ما يحصله العاقل من تفاعله مع ما يحيط به وهو :

[١] حسي: أي يحصل عن طريق الحواس – عدا السمع – .

[٢] سمعي: أي يحصل عن طريق السمع – أى : الخبر الصادق– .

---

(1) في أصل كلام ابن القيم : " المعلوم " بدلاً من " الشيء " ، وما أثبتناه أولى دفعاً للدور ؛ فإنه لا يُعَّرف المصطلح بنفسه – أي : بلفظه أو بمشتق منه– ، وأيضاً هناك شرط آخر وهو : اليقين أو غلبة الظن – على الراجح – .

(2) مستفاد من كلام ابن القيم فى الفوائد [١٦٠] مع تصرف وإضافة .

(3) انظر بتوسع [٣٠٦] المصدر السابق .

(4) هذا هو الأصل وعليه يبنى المكتسب ، وهو لا يدخل في حدِّ العلم السابق إلا على سبيل المسامحة والتغليب .

مَثلٌ .... فأحضر قلبك

هذا رجل صادق عندك – يخبرك عن " آخر" ، و عن كماله وجماله ، أخبرك بأسمائه ، فأنشأ ذلك فى قلبك علماً، وأخبرك بصفاته : حَدَّثَك عن كرمه ورحمته وعطائه الواسع والذي ينال أولياءه وأعداءه ، حدَّثَك عن قوته وعظيم شأنه وغضبه إذا خُولِفتَ أوامره العادلة وانتقامه الشديد ممن ظلم أو آذى أولياءه ، حدثك عن حِلْمِه وعفوه وجميل ستره لمعايب الراجعين إليه بالاستغفار .. حدثك وحدثك .. ، وكلما حدثك ازدادت مساحة العلم به في قلبك ؛ فأثمر ذلك العلم حباً وتعظيماً وإجلالاً ، وشوقاً إلى مزيد علم ، وطمعاً في قُرْبٍ ، ثم شاهدتَ في نفسك وفيمن حولك من الناس آثار فعله التي هي مقتضى ما كنت قد علمت من صفاته ؛ فازداد علمك وازداد عملك – أي : حبك وتعظيمك وذُلُّكَ وشوقك – فصارت معاملته والتقرب إليه أغلى أمنية...

فَدلَّك صاحبك الصادق على مراسلة تكون بينك وبين " الآخر" ، فأرسلت له الخطابات تلو الخطابات : فيها ثناءٌ وشكرٌ ، وطلبٌ وسؤالٌ ، وإخبارٌ بالحال ، وتلقَّيْت الخطابات تُبيِّنُ وتَحُثُّ ، وتَشْفِي وتُجيبُ ؛ فازددت عِلماً إلى علم ، وتعلُّقاً إلى تَعلُّق ..

ثم فتح لك باب التواصل عن طريق الهاتف ؛ فكلمته وأجابك ، سمع كلامك وسمعت كلامه ، فيا فرحة قلبك بهذا القرب الجليل.. فإن أُخبرتَ أن بعد قليل ستراه ؛ فإنك تكاد تشتعل شوقاً إلى ذلك ، وحينها .. تتم سعادتك ، وتَقَرُّ عينك برؤية من تحب ، إذ أن " اللذة تابعة للمحبة ، تقوى بقوتها وتضعف بضعفها ، فكلما كانت الرغبة فى المحبوب والشوق إليه أقوى كانت اللذة بالوصول إليه أتّم، والمحبة والشوق تابع لمعرفته والعلم به ، فكلما كان العلم به أتّم كانت محبته أكمل"[1].

ولله المثل الأعلى ، فهذا الصادق المصدوق رسول الله ﷺ أتاك بالخبر الصادق عن طريق الوحي – كتاباً وسُنَّةً – فجاءك العلم بالله – بأسمائه وصفاته وأفعاله – عن هذا الطريق ورأيت مصداقه فى الآيات المشاهدة فى الأنفس والآفاق فانتقلت المعلومات من الوسائل إلى القلب ؛ فأثمرت تعلقه بالله حباً وذلاً وخوفاً

---

(1) [٩٦] الفوائد ، وتَنَبَّهْ إلى أن الشوق تابع للحبّ .

ورجاءً ، والذي ظهر فى عمل الجوارح فى دعاء من العبد – و هذا خطابه – وتَلَقٍّ لكلام الربّ – الذي هو خطابه[1] – ، وفي الصلاة – التي مثلت لها بالمهاتفة – حيث قال تعالى – في الحديث القدسي – : **" قسمتُ الصلاة بيني و بين عبدى نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد:** ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ **قال الله : حمدنى عبدي ، وإذا قال :** ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ **قال الله : أثنى عليّ عبدي ، فإذا قال :** ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ **قال : مَجَّدَنى عبدي ، وقال مَرَّةً : فوَّض إلىّ عبدي ، فإذا قال :** ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ **قال : هذا بينى و بين عبدى ولعبدى ما سأل فإذا قال :** ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ **قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل "**[2] . فهذا غاية اتصال العبد بربه فى الدنيا ، ولذلك كان النبي ﷺ يقول : **" وجُعِلتَ قُرَّةُ عينى فى الصلاة "**[3] ويتبعه قوله ﷺ : **" إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله ﷻ: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم "**ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[4]"[5] " وكما أنه لا نسبة لنعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به ، بل لذة النظر إليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به ومحبتهم له ، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة . فكلما كان المحب أعرف بالمحبوب ، وأشد محبة له ، كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم "[6] وهذا قد عرف ربه بالخبر الصادق وبمشاهدة الآثار وبالمعاملة الحيَّة جميعاً ؛ فازداد علماً إلى علم وحبًّا إلى حبّ .. ولله الأمثل الأعلى.

مشروعية هذا المثل:

---

(1) راجع **[٥]** المصدر السابق .

(2) صحيح رواه مسلم برقم (٣٩٥) في كتاب الصلاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(3) صحيح رواه النسائي (٦١/٧) في كتاب عشرة النساء ، والحاكم في المستدرك في كتاب النكاح (١٦٠/٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

(4) [٢٦ – يونس] .

(5) صحيح رواه مسلم برقم (١٨١) في كتاب الإيمان من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه .

(6) [٣٣/١] إغاثة اللهفان .

هذه المشروعية لها وجهان :

١- إن المقصود الأول بهذا المثل هو تشبيه العلم المكتسب بالخبر ابتداءً – ثم بالرؤية ثم بالمعاملة – ، و أثره في تحريك عمل القلب وتَعَلُّقِهِ، ثم تابعه من عمل الجوارح ، بنظيره تقريباً للفهم والشعور جميعاً ، وليس المقصود تشبيه المعلوم بالمعلوم ولا المتعلق به بالمتعلق به ، وهذا له نظائر فى الشرع ، فمن أشهرها وأقربها قوله ﷺ : " **إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا** – أي : القمر ليلة أربع عشرة – **لا تضامون** – من الضَيم – أى : لا يظلم بعضكم بعضاً– **فى رؤيته** "[1] وهذا من تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، فليس من التشبيه المنهي عنه "[2] .

٢- ثم إن الأقيسة ثلاثة :

[١] " **قياس التمثيل** : الذي يعرفه علماء الأصول بأنه : إلحاق فرع بأصل فى حكم لجامع ، كإلحاق النبيذ بالخمر فى الحرمة لاشتراكهما فى علة الحكم و هى الإسكار "[٣].

و هذا لا يجوز فى الشئون الإلهية لأنه " مبني على وجود مماثلة بين الفرع والأصل ، والله ﷻ لا يجوز أن يمثل بشيء من خلقه "[4] .

[٢] " **قياس الشمول** : المعروف عند المناطقة بأنه : الاستدلال بكلّىّ على جزئي بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلّيّ[4].

وهذا أيضاً كسابقه فى عدم الجواز لأنه " مبني على استواء الأفراد المندرجة تحت هذا الكلّيّ ؛ ولذلك يحكم على كل منها بما حكم به عليه[1] " .

[٣] **قياس الأولى** : " هو أن يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل و هذا يقول العلماء أنه مستعمل فى حق الله " [1] " ومنه أن كل كمال ممكن لا نقص فيه

---

(1) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٥٥٤) في كتاب مواقيت الصلاة ، ومسلم برقم (٦٣٣) من كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث جرير ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

(2) أفاده د. هشام عقدة فى هامش مختصره لمعارج القبول [٦٩] ، و أصله فى المصدر المذكور فى (٦) [٦٥] .

(3) [٢٧] شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس .

(4) [١١٤/١] شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ط . دار الأصالة " الأولى " [١٩٩٨] .

(1) [١١٤/١] شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ط . دار الأصالة " الأولى " [١٩٩٨] .

من جميع الوجوه[2] اتصف به المخلوق فالله أولى به ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه" [3] وقد يعبر عنه باختصار بقولنا : " كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق ، فالخالق أولى به من المخلوق ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه[4]." أو بتفصيل بقولنا : " كل كمال ثبت للممكن ، أو للمحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه – وهو ما كان كمالاً للوجود غير مستلزم للعدم بوجه – فالواجب القديم أولى به ، وكل ما لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق والمربوب والمُدبَّر ، فإنما استفاد من خالقه وربه ومُدبِّره وهو أحق به منه ، وإن كل نقص وعيب في نفسه – وهو ما تضمن سلب هذا الكمال ، إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات– فإنه يجب نفيه عن الرب بطريق الأولى"[5] [6] وغاية ما يُقال فى مثالنا المضروب إنه من باب قياس الأولى– أي : المثل الأعلى– المعتبر شرعاً.

(2) قوله : " من جميع الوجوه " غير دقيق ،والأدَقّ ما يأتى بعدُ نقلاً عن تهذيب شرح الطحاوية " بوجه من الوجوه" .

(3) **[٢٩٠]** القواعد الكلية للأسماء والصفات ، د . إبراهيم البريكان – ط . دار الهجرة ، مستفيداً من التنبيهات السنية **[١٢٣]** ، والرد على المنطقيين **[١٥٠-١٥٤-٣٥٠]** ، ونقض تأسيس الجهمية **[٣٢٧/١]** .

(4) **[٢٧]** شرح الواسطية لهراس .

(5) **[٣٠]** تهذيب شرح الطحاوية المسُمى " أصول العقيدة الإسلامية " لعبد المنعم العزي – ط . دار البشير .

(6) راجع " الرسالة الأكملية " لابن تيمية ، خاصة **[٣٣ : ٤٢]** " . – دار المدني – بعناية أحمد حمدي إمام .

الفصل الأول

شهادة أن لا إله إلا الله

أولاً: التوحيد العلميّ :

" **التوحيد فى اللغة** : مِنْ وَحَّدَ الشئ ، إذا جعله واحداً ؛ فهو مصدر وحد يوحد ، أي : جَعْلُ الشئ واحداً .

وفى الشرع: إفراد الله بما يختص به– سبحانه – من الأسماء والصفات والربوبية والألوهية . " [١]

والعلم قد سبق بيان معناه ، ويُسمَّى **التوحيد العلمي** أيضاً بالتوحيد الخبري الاعتقادي وبتوحيد المعرفة والإثبات ، أو قد يُذكرُ بنوعيه – أى : الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية - [٢] ، وكل ذلك يرجع إلى معانٍ مُتَّحِدَةٍ غير مُخْتَلِفَة .

(١) توحيد الأسماء والصفات

وهو : " إفراد الله – عز وجل – بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا كما جاءت في الوحي " [٣]

قال الإمام الشافعي – رحمه الله – : " آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله " [4] ﷺ ، وقال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – : " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث " [5] ، إذ " من الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه فى كتابه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل"[6] كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -.

---

(1) عن " القول المفيد على كتاب التوحيد " لابن عثيمين [١١/١] بتصرف يسير .

(2) راجع المصدر السابق ومختصر معارج القبول [٢٥] .

(3) راجع " القول المفيد " [١٨/١] .

(4) [١٢١] تحقيق المجاز والحقيقة فى صفات الله " لابن تيمية " ، ملحق بالفتوى الحموية الكبرى – ط . مطبعة المدني ، بتقديم محمد عبد الرزاق حمزة ، و [١٠٤/١] شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين .

(5) [٣١] الفتوى الحموية الكبر لابن تيمية ، و[٣٨] القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين – ط. مكتبة السنة بتحقيق أشرف عبد المقصود .

(6) [٢١] العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح هراس – ط . مكتبة العلم

فلا يكون العبد مُتَلَقِّياً لها كما جاءت فى الوحي إلا بنفي هذه المحاذير الأربعة :

(١) **التمثيل** : وهو: اعتقاد مماثل لله في حقيقة شيء من أسمائه أو صفاته – تعالى– ، كما قال :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، وقال:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [2]، وأمرنا- ﷻ- :﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3] أى : نظراء مماثلين ، وأمرنا:﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[4] " إذ كل ما استلزم مساواة الخالق بغيره من المربوبات فهو التشبيه المذموم "[5] الذي قال فيه " نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخارى – رحمهما الله – : " من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه "[6] ، والتشبيه فى اصطلاح هؤلاء العلماء إنما يُقصد به التمثيل ، غير أن نفي التمثيل أولى من نفي التشبيه لأن ذلك هو لفظ القرآن كما سبق ، ولأن نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح حيث إنه ما من شيئين من الأعيان أو من الصفات إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه والاشتراك نوع تشابه (مثلاً : صفات الرب موجودة ، وذاته موجودة . وصفات العبيد موجودة ، وذواتهم موجودة . فلا ننفي وجود الأولين لأننا نثبت وجود الأخيرين ، بل ننفي مساواة ومماثلة وجود الأولين لوجود الأخيرين)[7] .

(٢) **التكييف** : وهو اعتقاد كيفية معينة لشيء من أسماء الله – تعالى– أو صفاته . لا نقول إنها ليست لها حقيقته وكيفية وماهية بل لابد لها من ذلك ، إنما ننفي علمنا نحن بهذه الماهية لأن الله لم يخبرنا بها، وقد نهانا فقال : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ

---

(1) [١١– الشورى] . **(2)** [٤– الإخلاص] . **(3)** [٢٢– البقرة] .

(4) [٧٤– النحل] .

(5) [٢٩٠] القواعد الكلية للأسماء والصفات عن السلف .

(6) [١٠٨] الحموية الكبرى ، ونحوه فى تهذيب شرح الطحاوية [٢٩] ، فى شرح الواسطية لابن عثيمين [٩٠/١] ونُسب فى هامشه إلى : شرح السنة للالكائي [٩٣٦] والعلو للذهبي [٤٦٤] وصححه الألباني فى مختصر العلو [١٨٤] .

(7) راجع شرح الواسطية لابن عثيمين [٩٨:٨٩/١] فقد استفيد منه لا بنصه ، و[٣٥–٣٦] القواعد المثلى لابن عثيمين أيضاً .

بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾[1] فلا نقول عليه – تعالى– ما لا نعلم – ولا على غيره – ، وقد أخبرنا الله – تعالى– فقال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾[2] فإحاطة العلم – لا مطلق العلم – لا تمكن لنا بالنسبة له ﷻ ؛ فنحن نعلم معاني أسمائه تعالى وصفاته لكننا لا ندرك لها كيفية ، نفهم أن السمع – مثلاً – يعني : إدراك الأصوات ، لكننا لا ندري كيف يسمع الله الأصوات ؛ وهذا ليس بمستغرب إذ أن الناس منذ قديم الزمن يفهمون معنى السمع – إدراك الأصوات – لكنهم لم يدركوا كيفيته إلا في العصور الحديثة – أي يدركوا : ميكانيكية السمع عند الإنسان بدءاً من صدور موجة ذات تردد معين في وسط مادي وحتى بلوغ الإشارة العصبية لمنطقة السمع في المخ ومنها إلى مناطق الربط – بل إن الناس إلى اليوم ربما يحارون في كيفيه سمع الحيتان في البحر ويرون أن كيفيتها ليست كتلك التي للبشر ، وهذا وكلنا في دائرة المخلوق ، فشأن الله – تعالى– أعظم من هذا وأجل . ولهذا كان السلف كالإمام الأوزاعي – رحمه الله – وغيره يقولون عن آيات الصفات وأحاديثها : " أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف "[3] وهذا يعني أنهم " إنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: " بلا كيف " ، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول "[4] ، أي : لا يحتاج إلى نفي علمه بالكيفية إلا من أثبت علمه بالمعنى ، أما من نفى علمه بالمعنى فهو من باب أولى لا يعلم الكيفية ، فنفيه العلم بالكيفية حينها كلام لا يضيف شيئاً . ثم إن العلم بالكيفية أخص من العلم بالمعنى ، ونفى الأخصّ ليس نفياً للأعمّ ، بل نفى الأعم شامل لنفى الأخص[5].

---

(1) [٣٦ – الإسراء] .

(2) [١١٠– طه] .

(3) [٤٦] الحموية الكبرى ، و[٨٨] شرح الواسطية لابن عثيمين ، ونُسب في هامشه إلى : شرح السنة للالكائي [٨٧٥] . والسنة للخلال [٣٧٣] ، والعلو للذهبي [٣٦٨] وصححه الألباني في مختصر العلو [١٣٨] ، ووردت نفس الكلمة عن مالك بن أنس إمام أهل الحجاز وسفيان الثوري إمام أهل العراق والليث بن سعد إمام أهل مصر ، والأوزاعي وهو إمام أهل الشام فهؤلاء أئمة عصر تابعي التابعين ، وانظر ذلك في الحموية الكبرى [٤٣ : ٤٤]

(4) [٤٦] الحموية الكبرى بتصرف ، ومعناه في شرح الواسطية لابن عثيمين [٨٨/١] .

(5) أي : من حيث أهله الذين يعلمونه ، كالإيمان أخص من الإسلام من حيث أهله الذين يحققونه ، والإحسان أخص من الإيمان من نفس الحيثية .

وحين سُئل الإمام مالك – رحمه الله – عن قوله – تعالى– : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [1] كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه العرق ، ثم رفع رأسه ، وقال : **" الاستواء غير مجهول "** أى : من حيث المعنى معلوم ؛ لأن اللغة العربية بين أيدينا ، فكل المواضع التى وردت فيها (ٱسۡتَوَىٰ) معدّاه بـ (عَلَى) معناها العُلُو. فقال : **" الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول "** لأن العقل لا يدرك الكيف، فإذا انتفى الدليل السمعي والعقلي عن الكيفية ؛ وجب الكف عنها. **" والإيمان به واجب "** لأن الله أخبر به عن نفسه فوجب تصديقه **" والسؤال عنه بدعة "** : السؤال عن الكيفية بدعة"[2].

(٣) التعطيل : وهو لغة : التخلية والترك ،كما فى قوله – تعالى– :﴿ وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ ﴾[3] أى : مُخَلاَّة متروكة : والمراد به : نفي شيء من معاني أسماء الله أو صفاته . إذ الألفاظ وظيفتها الدلالة على المعاني ، فإن نفيت هذه المعاني تكون هذه الألفاظ معطلة ، لأنها حينئذ متروكة ومُخَلاَّة.

وينقسم التعطيل إلى :

١ – **تعطيل اللفظ عن كل المعاني :** بنفي علمنا لأى معنى له وتفويض العلم بمعناه إلى الله – تعالى – ، وهو ما عُرِفَ بمنهج " التفويض " ، فعند هؤلاء : كل آيات ونصوص الصفات بمنزلة الحروف المُجَمَّعَة التى لا دلالة لها، فـ﴿ ٱلرَّحۡمَٰن ﴾ [4] مثل ﴿ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴾ [5] مثل ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [6] ، وعليه يسوغ وضع أي من هذه الحروف بدلاً من بعضها الآخر ولا يتغير المعنى العام حيث إن هذه الكلمات جميعها بدون دلالة ، وبهذا يُعرَض عن فهم القرآن وتدبره مع أن الله أمرنا بذلك، وبهذا يُجَهَّل الرسل مع أنهم هداة البشرية إلى الله والمأمورون بالبلاغ المبين ،

---

(1) [٥– طه] .

(2) [٨٦ : ٨٧] شرح الواسطية لابن عثيمين ، وبهامشه نُسب أثر مالك إلى :" شرح السنة " للالكائي [٦٤٤] . و" الأسماء والصفات". للبيهقي[٤٠٨] و "الرد على الجهمية" للدرامي [١٠٤] .و" التمهيد " لابن عبد البر [١٥١/٧] ،و "الحلية" لأبى نعيم [٣٢٥/٦ : ٣٢٦] ، والحافظ فى "الفتح" [٤٠٧/١٣] قال عنه : إسناده جيد.

(3) [٤٥– الحج] . **(4)** [١– الرحمن]. **(5)** [٤– آل عمران] . **(6)** [١– مريم] .

وبهذا يُسَدُّ باب الهداية من جهة الوحي الذي هو تبيان لكل شيء[1] ، فأى مسلم بل عاقل يجرؤ على هذا ؟! والعجيب أنه ليست هناك فرقة تُسمى " المفوضة " إنما نشأ التفويض عندما أساء الخلف من الأشاعرة فهم كلام السلف وظنوا أن نفي السلف للكيف معناه نفي المعنى[2] حتى إن من أراد منهم تبنى منهج السلف تبناه – للأسف – على فهم الأشاعرة وقال " ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى "[3] وربما تأثر بكلامهم بعض أهل السنة فمالوا إلى التفويض اغتراراً بالشبهات ، وغفلة عن الحق الذي عليه أهل السنة فى هذا الباب .

٢- تعطيل اللفظ عن معناه الحق كلياً أو جزئياً مع إثبات معنى آخر :

أ- فمثال تعطيل اللفظ عن معناه الحق كلياً تعطيلهم لصفة " الساق " الواردة عن النبي ﷺ ، وذلك قوله : **" يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياءً وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً "** [٤] ، فهم قد نفوا هنا كل المعنى الصحيح وأثبتوا معنىً آخراً بديلاً عنه ثم اضطربوا في تعيينه على أقوال منها: الشدة ، والجماعة من الملائكة ، أو ساقاً مخلوقة [٥] . وهذا هو التعطيل الكلى مع إثبات مقابل .

ب- ومثال التعطيل الجزئي مع إثبات معنى اللفظ ، تعطيلهم اسم " العلي " الذي يدل على صفة " العُلُوّ " ، إذ العُلُوّ ثلاثة أنواع :

١- علو الذات : وهو فوقيته تعالى مستوياً على عرشه .

---

(1) راجع القواعد المثلى [٤٤] حيث ينقل عن : " العقل والنقل " لابن تيمية المطبوع على هامش منهاج السنة لابن تيمية أيضاً [١١٦:١١٨] .

(2) راجع " القول السديد في موضوع التفويض " لمحمود عبد الرازق [١١] نقلاً عن شرح جوهرة التوحيد [١٠٩] ، وبه نُقُول أخرى تثبت وجود هذا الفهم الخاطئ عند الأشاعرة ومن تأثر بكتبهم .

(3) راجع القول السديد في موضوع التفويض [١٢] نقلاً عن مجموعة الرسائل لحسن البنا [٣٣٠] . لكن هناك تخريج جيد لكلام الشيخ حسن البنا – رحمه الله – فانظره فى " اللهم اغفر لقومي فإنهم مجتهدون – جلسات مع كتاب الوقفات " الجلسة التاسعة – ط . دار الدعوة (الكويت) الأولى ١٩٩٠م . وقد نقلت الكلام وذكرت أنه مدفوع لأسباب منها كثرة ذكره وتلقيه بالتسليم من الغالبية ، مع أنه قابل للتخريج كما فى الكتاب المذكور ، والأصل : إحسان الظن بالمسلمين خاصة بشيوخهم وأئمتهم ودعاتهم والتورع عن المجازفة فى اتهامهم – والله أعلم – .

(4) متفق عليه – رواه البخارى برقم (٧٤٣٩) في كتاب التوحيد ، ومسلم برقم (١٨٣) في كتاب الإيمان من حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه .

(5) راجع " شرح النووي لمسلم " [٣٦/٦] تحقيق الشيخ : خليل مأمون شيحا ، ط . دار المعرفة (بيروت) الخامسة . أما قوله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) [٤٢- القلم] فيقولون : إن هذا التعبير مجرد " كناية عن الشدة والكرب فهو يوم القيامة الذي يشمر فيه عن الساعد ويكشف فيه عن الساق ، ويشتد الكرب والضيق " . انظر " في ظلال القرآن " " لسيد قطب " [٦/ ٣٦٦٧-٣٦٦٨] . وهو أحد قولي السلف في الآية على كل حال ، كما ذكره ابن عثيمين في " شرح الواسطية " [١/ ٢٧٣] .

٢- **علو الشأن** : وهو تعاليه عن جميع النقائص التى تلحق ماعداه ولابد ، وتفرده بأكمل الكمال .

٣- **علو القهر** : وهو كمال سلطانه على عباده جميعاً فلا مغالب له ولا منازع ، فلم يخالف أحد من المسلمين فى الثاني والثالث ، وإنما ضلّ من ضلّ فنفى النوع الأول مع إثباته للآخَرْين فى تفسير اسم " العلي " فكان بهذا معطلاً جزئياً وإن أثبت جزء معنى اللفظ .

(٤) **التحريف** : لغةً : التغيير ، والمقصود هنا : تغيير شيء من أسماء الله – تعالى– أو أوصافه عن الحق ، وينقسم هذا التغيير إلى :

(١) **تحريف اللفظ** : بتغيير كلمة أو أكثر ، أو حتى تشكيل كلمة أو أكثر ، مثل قول أحد المعتزلة " لأبي عمرو بن العلاء – أحد القراء السبعة – أريد أن تقرأ ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ [١] بنصب اسم " الله " ليكون موسى هو المتكلم لا الله ، فقال له أبو عمرو: هب أنى قرأت هذه الآية كذا فكيف تصنع بقوله – تعالى–: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [٢] فبهت المعتزليّ "[٣] ، وعلى الجملة فالغالب أن هذا النوع من التحريف لا يقع إلا نادراً ؛ لأن فيه إظهاراً لنفاق صاحبه خاصةً إذا كان متصلاً بنص متواتر بلفظه ، وربما وقع من البعض على سبيل الخطأ لا العمد وهذا مما يُغتفر لصاحبه لعدم قصده التحريف فى الوحي .

(٢) **تحريف المعنى**: بصرف دلالة اللفظ عن ظاهره بغير قرينة تدل على ذلك ، كما قالت الجهمية والمعتزلة فى قوله – تعالى– :﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[4]عن "الاستواء " بأنه " الاستيلاء والقدرة والقهر" تحريفاً لمعنى " العُلو" الذي هو أصل معنى "الاستواء" ، فـ" استوى " معناها :"علا وارتفع" وأدلة علو الذات من الكتاب

---

(١) [١٦٤– النساء] .

(٢) [١٤٣– الأعراف] .

(٣) [٥٥] تهذيب شرح الطحاوية.

(4) [٣ – طه] .

والسنة وكلام السلف والأئمة أكثر وأشهر من أن تُذكر – وقد مَرَّ قول الإمام مالك سابقاً– [5]

علاقة الأسماء بالصفات:

أسماء الله تعالى مُشْتَقَّةٌ من صفاته – تعالى– ، " ولا نعنى بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها فى اللفظ والمعنى ، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله "[١] .

وأسماؤه تعالى تدل على صفاته العُلا ، فاسم العليم متضمن لصفة العلم ، واسم الحكيم متضمن لصفَتَىْ الحُكم والحِكمة ... وهكذا .[٢]

علاقة "الأسماء والصفات" بـ "الأفعال":

" أسماء الله – تعالى– وصفاته " من الكمال الواجب لنفسه المقدسة ، ومما يستحيل أن ينفك عنه بحال من الأحوال ؛ فوجودها بوجوده – تعالى– أزلاً وأبداً ، أما " أفعاله " – عز وجل – فإنها أثر للأسماء والصفات ، ومن آحادها ما يحدث بعد أن لم يكن ؛ إذ هي مرتبطة بمشيئته – تعالى– فإن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ، كما قال الإمام الطحاوي – رحمه الله – :" ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزدد – بكونهم – شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، كما كان بصفاته أزلياً ، كذلك لا يزال عليها أبدياً ، ليس بعد الخلق استفاد اسم الخالق ، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري "[٣].

قاعدة فى الصفات:

وعمدة فهم أهل السنة لهذا الباب مبني على أن **" القول فى الصفات كالقول فى الذات"** [٤] ومعناها أننا كما نؤمن بذات الله نؤمن بصفاته – تعالى – ،

---

(5) راجع الحموية الكبرى [٩٦ : ٩٧] ، وتهذيب شرح الطحاوية [١٠٩:١١٤] ، ومختصر معارج القبول [٣٩:٤٧] . وشرح الواسطية لابن عثيمين [١/٧٥:٧٨] .

(1) [٢٩] تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد لسليمان آل الشيخ نقلاً عن ابن القيم– ط .المكتب الإسلامي " السادسة " .

(2) انظر " القواعد المثلى " [٩:١٤] .

(3) انظر تهذيب شرح الطحاوية [٣٣:٣٦] ، والقواعد المثلى [١٤] .

(4) [١٥] الرسالة التدمرية لابن تيمية – ط . المكتبة السلفية " الرابعة " .

وكما نؤمن أن ذاته لا تُماثل ذوات المخلوقين ، فإننا نؤمن أن صفاته – تعالى – لا تُماثل صفات المخلوقين ، وكما أننا لا نُدرك حقيقة ذاته – تعالى– فنحن أيضاً لا ندرك حقيقة صفاته مع إيماننا بكل ذلك .

وهناك قاعدة أخرى تُتمم الفائدة وهي أن **" القول في بعض الصفات كالقول في بعض "**[1] ومعنى ذلك أن ما أجريته فى القاعدة الأولى – السابق ذكرها – تجريه على كل الصفات ، وإلا كان ما أَثْبَتَّهُ حجة عليك فيما نفيته ، كمن ينفى الرحمة لأنها تستلزم اللين والرقة أو الغضب لأنه غليان دم القلب لطلب الانتقام ... وأمثال ذلك ، ويقول : إن الله مُنَزَّهٌ عن ذلك ، وهذه مماثلة للمخلوقين، فلو قيل له : أنت تثبت الإرادة وهى مَيْلٌ رجاء حصول منفعة أو دفع مضرة ، والله منزه عن ذلك ، لقال : هذه إرادة المخلوقين ، وإرادة الله تليق به ، فيُجاب بأنه كذلك له رحمة وغضب يليقان به ، ولو نفى اليد والساق لأن للمخلوقين يداً وساقاً ، لقيل له: فللمخلوقين ذاتاً ووجوداً ، وهاتان كهاتين[2] ولذلك قال بعض السلف : " إذا قال لك الجهمي : كيف استوى ؟ أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا أو كيف يداه ونحو ذلك ؟ فقل له : كيف هو فى نفسه ؟ فإذا قال لك : لا يعلم ما هو إلا هو ، وكُنْهُ البارى تعالى غير معلوم للبشر . فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف ، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة الموصوف ولم تعلم كيفيته ؟ وإنما تُعْلَمُ الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي له "[3].

للأسماء والصفات محوران :

ترجع الأسماء الحسنى والصفات العُلا إلى اسمين عظيمين هما ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[4] وهما مذكوران فى القرآن معاً في ثلاث سور[5] ، ويتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه فإن الحياة الكاملة مستلزمة لجميع صفات كمال

---

(1) [١٥:١١] المصدر السابق .

(2) انظر المصدر السابق، والقواعد المثلى [٥٢] ، والعقيدة في الله د . عمر الأشقر [٢١٦ : ٢١٧] – ط . مكتبة الفلاح " الثانية ".

(3) انظر الحموية الكبرى [١١١] ، وقريب منه [٣٦٣ : ٣٧١] القواعد الكلية ((انتبه للنقل [٣٧٠] عن مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم [٢٨/١])).

(4) [٢٥٥ – البقرة] .

(5) السابق ، و [٢– آل عمران] ، و [١١١ – طه].

الـذات ، والقيوميـة – وهـى : القيـام بـالنفس ، والقيـام علـى الغيـر– مسـتلزمة لـذلك ولجميع صفات كمال المُلك والفعل ؛ فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها وإليها ترجع معانيها[1] .

(1) راجع تهذيب شرح الطحاوية [٣١] ، وشرح الواسطية لابن عثيمين [١٤٨/١] .

(٢) توحيد الربوبية

وهو : " إفراد الله تعالى بأفعاله فلا يماثله ولا يشاركه في أيّ منها شيء من المخلوقات "[1] فليس هناك من يدفع دون الله أو معه ، ولا يخلق دونه ولا معه ولا يرزق دونه ولا معه .. وهكذا .

علاقة "الربوبية" بـ: "الأسماء والصفات":

أفعال الله التي تختص به " أثر" لأسماء الله وصفاته التي يختص بها – عز وجل – " فكل فعل من أفعاله - تعالى - إنما هو مُقتضى صفة أو أكثر واسم أو أكثر من صفاته وأسمائه – تعالى– ولابُدّ ؛ إذ هو عنها قد صَدَرَ – أي : الفعل – ، فالمفعولات دالَّةُ على الأفعال ، والأفعال دالة على الأسماء والصفات ، فاسمه – تعالى– " الخالق" ، وصفته عز وجل " الخلق" يثمران فعله – وهو: أنه يخلق ما يشاء كما يشاء – فتكون بذلك المخلوقات ... وهكذا ... وبهذه العلاقة كان التفكر في " المفعولات "من الطُّرُقَ التى دعا الله عباده إلى التعرف عليه بها ، كما قال – تعالى– : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] [3].

للربوبية محوران:

قال – تعالى– : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [4] " ذلك أن الخلق والأمر من أخَصّ خصائص الربوبية وأجمع صفاتها ...

والأمر فى لغة الشارع يأتي بمعنى الأمر الكوني أو الأمر الشرعي :

---

(1) انظر تطهير الجنان والأركان عن درن الشر ك والكفران أحمد بن حجر آل بوطامي – ط. مؤسسة قرطبة بعناية أشرف عبد المقصود [٢٠].

(2) [١٦٤ – البقرة] .

(3) راجع الفوائد [٤١ : ٤٣] و [٢٩٥: ٢٩٧] .

(4) [٥٤ – الأعراف] .

(١) **الأمر الكوني** : وهو الذي يدبر به شئون المخلوقات وبه ويقول للشيء كن فيكون،ومنه قوله – تعالى–:﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] وقوله– تعالى– : ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾[2].

(٢) **الأمر الشرعي** : وهو الذي به يفصل الحلال والحرام، والأمر والنهي، وسائر الشرائع ، ومنه قوله – تعالى– : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [3]" [4].

ولأن الخلق والأمر محوري الربوبية ، ومدار الأفعال راجعة إليهما ؛ فربما شُرح توحيد الربوبية بهما فقيل :

إنه " إفراد الله – تبارك وتعالى– بالخلق والأمر كما قال – تعالى– : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾[5] فالخلق والأمر– وهو التدبير– وهو مختص بالله – عز وجل – فلا خالق إلا الله ولا آمر إلا الله ولا مُدبِّر إلا الله ﷻ "[6].

---

(1) [٨٢ – يس] . (2) [٥٠ – القمر]. (3) [٢٤ – السجدة] .

(4) [٨ : ٩] تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين د . صلاح الصاوي – ط . دار الإعلام الدولي .

(5) [٥٤ – الأعراف] .

(6) [٣٨] حقيقة التوحيد لمحمد حسان نقلاً عن المجموع الثمين من فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان (١٦/١) ط.دار الوطن للنشر.

ملحوظات على التوحيد العلمي

١- كيفيـة التلـقي وإلـزامها :

وهذا التوحيد العلمي لابد وأن يُتلقى كما تلقاه السلف الصالح ، وهم الصحابة ﷺ أهل " الصدر الأول ، الراسخون فى العلم ، المهتدون بهدي النبي ﷺ الحافظون لسنته اختارهم الله لصحبة نبيه ، وانتخبهم لإقامة دينه ، ورضيهم أئمة الأمة ، وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده وأفرغوا فى نصح الأمة ونفعهم ، وبذلوا فى مرضاة الله أنفسهم ، قد أثنى الله عليهم فى كتابه ... فيجب اتباعهم فيما نقلوه ، واقتفاء آثارهم فيما عملوه ، والاستغفار لهم"[١] قال ﷺ :" **خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**".[٢] وفهم السلف الصالح للدين – أعني : فيما أجمعوا عليه فهذا هو الذي يُنسب إليهم – مُلْزِمٌ ؛ لأنهم تلقوا هذا الدين عن النبي ﷺ لفظاً ومعنى، مما يدل على أن هذا هو فهمه ﷺ وهو الحق الذي لا تجوز مخالفته . قال – تعالى– : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [٣] ، والصحابة هم المؤمنون بيقين لشهادة الله ورسوله لهم بذلك فى غير ما موضع – أى : للكثيرين منهم كأهل بدر والشجرة ونحوهما – [٤] ، و قال ﷺ : " **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عُضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة** "[٥] فسُنَّتهم من سنته ﷺ التي نحن مأمورون باتباعها لأنها سنة المؤمنين أيضاً الذين حذرنا الله من اتباع غير سنتهم ، والتي رَدَّنا النبي ﷺ إليها عند الاختلاف كما مَرَّ.

---

(1) [٥١] أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، لمحمد عبد الهادي المصري– ط. دار طيبة ، نقلاً عن " المفسرون بين التأويل والإثبات " للمغراوى [١٨/١]، نقلاً عن القاشاني فى " تحرير المقالة من شرح الرسالة " [٣٦].

(2) صحيح رواه البخاري برقم (٢٦٥١) في كتاب الشهادات من حديث عمران بن حصين ﷺ .

(3) [١١٥ – النساء] .

(٤) بل أثنى الله على عمومهم بقوله : (محمد رسول الله والذين معه ...) [٢٩ – الفتح].

(5) صحيح – رواه أبو داود برقم (٤٦٠٧) في كتاب السنة ، والترمذي (٢٦٧٦) في كتاب العلم ، وأحمد (١٢٦/٤–١٢٧) في كتاب العلم ، وابن ماجة برقم (٤٢) في المقدمة والدارمي برقم (٩٥) في المقدمة ، وصححه ابن حبان برقم (٥) في المقدمة ، وشعيب الأرنؤوط في تحقيقه لرياض الصالحين (١١٣) ط . مؤسسة الرسالة " الخامسة " .

٢- مدى الوجود :

وهذا التوحيد العلمي فِطْريّ[١] – أي باعتبار أصله – ، ولهذا أَقرَّ به عامة الكفار[٢] – ولا زالوا كذلك – ،وذكر الله عنهم ذلك فى مثل قوله – تعالى– : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [3]، ولا يجحده إلا مُكابر معاند [4].

٣- علاقة "التوحيد العلمي" بالإيمان :

لا يدخل التوحيد العلمي وحده فى الإيمان – أي : وإن أَقَرَّ العبد به – ، إذ قد قال – تعالى– : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [٥] " فالله – تعالى– فى هذه الآيات ينكر على المشركين إعراضهم عن توحيده تعالى بالعبادة مع إقرارهم له بصفات الكمال وبالربوبية فَعُبَّاد الأوثان يقرون أن الله هو المنفرد بالخلق والرزق والضر والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات ليس إليهم ولا إلىأوثانهم من ذلك شئ بل هو الخالق وماعداه مخلوق ، وهو الرب وماعداه مربوب غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء سووهم به فى استحقاق العبادة وأنكروا أن يكون تفرد بها وقالوا لمن قال لهم: قولوا:لا إله إلا الله ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[٦]"[٧] .

---

(1) [٣٩] حقيقة التوحيد.

(2) راجع تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران [٢٠] ، والقول المفيد على كتاب التوحيد [١٤/١].

(3) [٦١ – العنكبوت] .

(4) راجع القول المفيد على كتاب التوحيد [١٤/١-١٥] ، وحقيقة التوحيد [٣٩] .

(5) [٨٤ : ٨٩ – المؤمنون] .

(6) [٥ – ص] .

(7) مختصر معارج القبول [٩٠] بتصرف يسير جداً ، وراجع العقيدة فى الله [٢٢٩] .

٤- علاقة "التوحيد العلمي" بـ "التوحيد العملي":

(١) " **التوحيد العلمي" هو الدليل على " التوحيد العملي"** : بل " هو أعظم حُجَّة على توحيد الطلب والقصد الذي هو توحيد الألوهية ، وبه احتج الله – تعالى– فى كتابه فى غير موضع على وجوب إفراده – تعالى– بالألوهية لتلازم التوحيدين، فإنه لا يكون إلهاً مستحقاً للعبادة إلا من كان خالقاً رازقاً مالكاً متصرفاً مدبراً لجميع الأمور حياً قيوماً سميعاً بصيراً عليماً حكيماً موصوفاً بكل كمال منزهاً عن كل نقص ، غنياً عما سواه ، مفتقراً إليه كل ما عداه ، فاعلاً مختاراً لا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه ولا يعجزه شئ فى السماوات ولا فى الأرض ، ولا تخفى عليه خافية وهذه صفات الله ﷻ ، ولا تنبغي إلا له ، ولا يشاركه فيها غيره ؛ فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو ولا تجوز لغيره ، فحيث كان متفرداً بالخلق والإنشاء ، والبدء والإعادة لا يشاركه فى ذلك أحد ؛ وَجَبَ إفراده بالعبادة دون سواه لا يُشرَك معه فى عبادته أحد ، كما قال – تعالى– : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ ﴾ [1] وقال – تعالى– : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝ ﴾ [2] "[3]

(٢) **والتوحيد العلمي هو أساس التوحيد العملي** : وذلك لما تمهد سابقاً من كون العمل الاختياري – أيا كان– لابد وأن يكون تطبيقاً لصورة معلومة فى النفس – سواء أكانت على حد العلم الصحيح وشرطه أم لا – ، ومادام المطلوب هو العمل الصحيح المرضي عند الله ﷻ، فلابد أن يكون أساسه هو العلم الصحيح به سبحانه، إذ العلم " إمام والعمل مأموم"[4]، قال الإمام البخاري– رحمه الله – : " كتاب العلم

---

(1) [٢١ : ٢٢ – البقرة] .

(2) [٢٩ : ٣٠ لقمان] .

(3) [٨٩ : ٩٠] مختصر معارج القبول ، وراجع تهذيب شرح الطحاوية [١٦]

(4) حقيقة التوحيد [١٣٦] نقلا عن مدارج السالكين لابن القيم (الجزء الثاني) .

– باب العلم قبل القول والعمل ، لقول الله – تعالى– : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [1] فبدأ بالعلم ، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، ورثوا العلم من أخذه بحظٍ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وقال جل ذكره ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾[2] وقال : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [3] ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٤) وقال : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5]

وقال النبي ﷺ : **" من يرد الله به خيراً يفقهه... "**[6] وإنما العلم بالتعلم وقال أبو ذر رضي الله عنه: لو وضعتم الصمصامة على هذه – وأشار إلى قفاه – ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها . وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : كونوا ربانين حكماء فقهاء . ويقال : الرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره " [7].

وقد عد العلماء العلم بمعنى كلمة التوحيد – أى : أصل معناها ابتداءً – شرطاً للنجاة بها فى الآخرة[8] ؛ لقوله ﷺ : **" من مات و هو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة "** [9].

(٣) ثم إن التوحيد العلمي هو الذي يَبْني التوحيد العمليّ: فعلى قدر حضور وذكر العلم يكون الداعي إلى لعمل ؛ إذ أن " مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار ، فإنها توجب التصورات والتصورات تدعو إلى الإرادات ،والإرادات تقتضي وقوع الفعل " [10] ؛ ولذلك " كان الإمام أحمد – رحمه الله – يقول عن معروف الكرخي – رحمه الله – و هو من العبّاد الزهاد : – معه

---

(1) [١٩ – محمد] .
(2) [٢٨ – فاطر] .
(3) [٤٣ –العنكبوت] .
(4) [١٠ – الملك] .
(5) [٩ – الزمر] .
(6) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٧١) في كتاب العلم وبأرقام (٣١١٦ – ٣٦٤١ – ٧٣١٢ – ٧٥٦٠) في كتب مختلفة في الصحيح ، ومسلم برقم (١٠٣٧) في كتاب الزكاة وكلاهما من حديث معاوية رضي الله عنه .
(7) [١٩٢/١] فتح الباري .
(8) راجع مختصر معارج القبول [٩٩] ، وحقيقة التوحيد [١٣٥–١٤٣].
(9) صحيح – رواه مسلم برقم (٢٦) في كتاب الإيمان من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه .
(10) [٣٠٦] الفوائد.

أصل العلم : خشية الله . فأصل العلم : العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والأنس به والشوق إليه "[1] ؛ لأن العلم ميراث الأنبياء و هو الجاذب للنفس الموصل لها إلى سعادتها التى خلقت لها[2] .

قال ابن القيم – رحمه الله – :" تأمل خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله، وله الحمد كله ،أزمة الأمور كلها بيده ومصدرها منه ، ومردها إليه ، مستوياً على سرير ملكه ، لا تخفى عليه خافية فى أقطار مملكته ، عالماً بما فى نفوس عبيده مطلعاً على أسرارهم وعلانيتهم ،منفرداً بتدبير المملكة،يسمع ويرى ويعطى ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق،ويميت ويحي،ويقدر ويقضى ويدبر .

الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها ، وصاعدة إليه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا تسقط ورقة ألا بعلمه فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ،ويمجد نفسه ، ويحمد نفسه ، وينصح عباده، ويدلهم على ما فيه سعادتهم فلاحهم ،ويرغبهم فيه ، ويحذرهم مما فيه هلاكهم ، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته ،و يتحبب إليهم بنعمه وآلائه ، فيذكرهم بنعمه عليهم،ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ، ويحذرهم من نقمه ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه ، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه ، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء .

ويثني على أوليائه بصالح أعمالهم ، وأحسن أوصافهم ، ويذم أعداءه بسيء أعمالهم ، وقبيح صفاتهم ، ويضرب الأمثال ، وينوع الأدلة والبراهين ، ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة ويصدق الصادق ويكذب الكاذب ، ويقول الحق ، ويهدي السبيل .

ويدعو إلى دار السلام ، و يذكر أوصافها وحسنها ، ويحذر من دار البوار، ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ويذكر عباده فقرهم إليه وشدة حاجتهم إليه من كل وجه ، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين ، ويذكر غناه عنهم وعن جميع الموجودات وأنه

---

(1) [١٨٧] ذم الجهل وبيان قبح أثره د . محمد رسلان – ط . دار العلوم الإسلامية .

(2) [١٠٣ : ١٠٤] فضل العلم وآدابه طلبه وطرق تحصيله وجمعه ، د . محمد رسلان – ط . دار العلوم الإسلامية نقلا عن ابن القيم ، باختصار وتصرف .

الغني بنفسه عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته ، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته .

ويشهد – أي : العبد – من خطابه – أي : خطاب الله – تعالى – عتابه لأحبابه ألطف عتاب ، وأنه مع ذلك مقيل عثراتهم و غافر زلاتهم ومقيم أعذارهم ومصلح فاسدهم والدافع عنهم ، والمحامي عنهم ، والناصر لهم والكفيل بمصالحهم ، والمنجي لهم من كل كرب ، والموفي لهم بوعده ، وأنه وليهم الذي لا ولي لهم سواه فهو مولاهم الحق ، ونصيرهم على عدوهم ، فنعم المولى ونعم النصير .

فإذا شهدت القلوب من القرآن ، ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه فكيف لا تحبه ، وتنافس فى القرب منها ، وتنفق أنفاسها فى التودد إليه ، ويكون أحب إليها من كل ما سواه ؟ وكيف لا تلهج بذكره ، ويصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها ، بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت ، و لم تنتفع بحياتها ؟ ..." [1]

وقال ابن رجب – رحمه الله – : " عرفو ها – أى : الذفوس – إطلاع من هو أقرب من حبل الوريد لعلها تستحي من قربه ونظره ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [2] ﴿ إِن رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴾ [3] .

راود رجل امرأة فى فلاة ليلاً فأبت فقال لها : ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مكوكبها ؟!

أكره رجل امرأة على نفسها ، وأمر ها بغلق الأبواب ، فقال لها : هل بقى باب لم تغلقيه ؟ قالت : نعم الذي بيننا وبين الله ؛ فتركها ولم يتعرض لها .

رأى بعض الصالحين رجلاً يكلم امرأة فقال : إن الله يراكما سترنا الله وإياكما !

سُئل الجنيد – رحمه الله – : بِمَ يستعان على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى من تنظر إليه .

---

(1) [٥٨ : ٦٠] الفوائد .

(2) [١٤– العلق].

(3) [١٤ – الفجر] .

وقال المحاسبي – أى : الحارث بن أسد ، الإمام فى الفقه والتصوف والحديث، و هو شيخ الجنيد – : **المراقبة** : علم القلب بقرب الرب ، كلما قويت المعرفة بالله قوى الحياء .

وقال بعضهم: استح من الله على قدر قربه منك ، وخف من الله على قدر قدرته عليك ..."[1] ولعل هذه الحكمة – أعنى : بناء العلم للعمل – تفسر امتلاء الوحى بذكر الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وربط كل شئ بها ؛ فلا تخلو صفحة من صفحات كتاب الله من ذلك ...[2] .

(1) بتصرف واختصار يسيرين عن : تحقيق كلمة الإخلاص [٤٠ : ٤٢] للحافظ بن رجب الحنبلي – ط . دار الفتح بعناية د . أسامة عبد العظيم .

(2) راجع " إن ربك حكيم عليم " وهى الرسالة الرابعة من " وقفات تربوية فى ضوء القرآن الكريم " لعبد العزيز الجليل – ط . دار الصفوة ، وحقيقة التوحيد [٦٣ : ٦٤] ، كما يمكن الاستفادة من الموافقات فى أصول الشريعة للشاطبي ، المقدمة الثامنة [٦٩ : ٧٧] – ط. دار المعرفة " بيروت" .

ثانياً: التوحيد العملي :

سبق بيان معنى كل من " **التوحيد** " و " **العمل** " ويسمى أيضا **بتوحيد الطلب والقصد**[١]، **وتوحيد الألوهية وتوحيد العبادة**.[٢]" فباعتبار إضافته إلى الله يسمى: **توحيد الألوهية**، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى **توحيد العبادة** "[٣]

التعريف والدليل :

و هو : " إفراد الله ﷻ بالإرادة والقصد والنية في أفعال العبد "[٤]، فهو متعلق بعمل العبد، خلافاً لتوحيد الربوبية الذي هو " إفراد الله ﷻ بأفعاله " هو سبحانه .

والدليل على هذا التعريف تسميتهم هذا النوع من التوحيد بتوحيد الطلب والقصد كما سبق ، وأيضاً صنيع الإمام البخاري – رحمه الله – حين افتتح صحيحه بكتاب بدء الوحي ، باب: كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ ؟ وقول الله – جل ذكره – : ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾[٥] ثم روى حديث**"إنما الأعمال بالنيات"** [٦] وقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – تعليلا لهذا الترتيب : " نقل ابن بطال عن أبي عبد الله بن الذجار قال : التبويب يتعلق بالآية والحديث معاً لأن الله ـ تعالى ـ أوحى إلى الأنبياء ثم إلى محمد ﷺ أن الأعمال

---

(1) [٨٩] مختصر معارج القبول .

(2) [١٦/١] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(3) نفس المرجع السابق .

(4) تركتُ التعرف المشتهر ، وهو : " إفراد الله – عز وجل – بالعبادة "، لسببين تربويين:
[١] التركيز على حقيقة التعبد وأصله ، وهو إخلاص الباعث على العمل .
[٢] التعبير عن الحقيقة المعروفة والمألوفة – غالباً – تعبيراً جديداً يمنحها روحاً في حس المتلقي ويفتح له آفاقاً للتجاوب معها . تأمل إحياء الوحي لمعاني الربوبية التي كان المشركون يقرون بأصلها وراجع في ذلك : منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب [٢/٢٣:٣٤] – ط . دار الشروق] .

(5) [١٦٣ – النساء] .

(6) متفق عليه – رواه البخاري برقم (١) في كتاب الإيمان بدء الوحي ، ورد في أبواب أخرى بأرقام (٥٤ – ٣٥٢٩ – ٣٨٩٨ – ٥٠٧٠) ومسلم برقم (١٩٠٧) في كتاب الإمارة كلاهما من حديث عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – .

بالنيات لقوله – تعالى– : ﴿ وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٧] وقال أبو العالية ـ رحمه الله ، و هو من التابعين ـ فى قوله ـ تعالى- : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا ﴾[١] قال : وصاهم بالإخلاص فى عبادته."[٢] إذ " الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل – عليهم السلام– "[٣] وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه . وهذا حقيقة " لا إله إلا الله " ، وهى ملة إبراهيم الخليل وسائر الأنبياء والمرسلين – صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين – "[٤] بل قال أيضاً: " والمشايخ والصالحون ﷺ يذكرون شيئاً من تجريد التوحيد وتحقيق إخلاص الدين كله ، بحيث لا يكون العبد ملتفتاً إلى غير الله ، ولا ناظر إلى ما سواه: لا حباً له ولا خوفاً منه ولا رجاءً له بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات خالياً منها ، ولا ينظر إليها إلا بنور الله ؛ فبالحق يسمع ، وبالحق يبصر، وبالحق يبطش ، وبالحق يمشى ؛ فيحب منها ما يحبه الله ، و يبغض منها ما يبغضه الله ، و يوالى منها ما والاه الله ، ويعادي منها ما عاداه الله ، ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله ، ويرجو الله فيها ولا يرجوها فى الله ، فهذا هو القلب السليم الحنيف المسلم المؤمن المحقق الموحد العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم "[٥].

للعمل قسمان :

[١] **عمل القلب** : من حب وتعظيم ورغبة ورهبة وخضوع وتوكل [٦] ، وما يبنى على ذلك من إخبات وخشوع وتوبة وصبر ، ونحوها ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عنها:" هى من أصول الأبحاث

---

(7) [٥ – البينة] .

(1) [١٣ – الشورى] .

(2) [١٦/١] فتح الباري .

(3) [٥] الإخلاص والشرك الأصغر ، د. عبد العزيز العبد اللطيف .

(4) [٣٣] رسائل من السجن ، لابن تيمية ، جمعها محمد العبدة ، ط . دار الأرقم " الكويت " " الثالثة " عن [٣٠/٢٨] مجموع الفتاوى .

(5) [٥٧] العبودية .

(6) راجع " فى مجال العقيدة نقد وعرض " لغازي التوبة [٨٤:١٠٠] – ط . مؤسسة الرسالة " الأولى " .

وقواعد الدين، مثل محبة الله ورسوله ﷺ ، والتوكل على الله ، وإخلاص الدين له ، والشكر له ، والصبر على حكمه والخوف منه ، والرجاء فيه وما يتبع ذلك ، فأقول: هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق – المأمورين فى الأصل – باتفاق أئمة الدين ."[1] " وجماع العبادة كمال الحب مع كمال الذل"[2].

[٢] عمل الجوارح : وهو يشمل " عمل اللسان والجوارح : فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك . وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها كالقيام والركوع والسجود والمشي فى مرضاة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما فى شعب الإيمان " [3].

إذ " **العبادة** : هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة "[4] . كما يقول ابن تيمية – رحمه الله – : " و هذا " من حيث أنواعها .. ومن حيث معناها وأدائها هي الطاعة المقرونة بكمال الحب وكمال الذل لله تعالى " [5].

علاقة القسمين :

وعمل الجوارح مبني على عمل القلب، ولا يقبل دونه . قال الحافظ ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – شارحاً لقوله ﷺ : " **إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى** "[٦] ، " فقيل : تقدير الكلام : الأعمال واقعة أو حاصلة بالنيات، فيكون إخباراً عن الأعمال الاختيارية أنها لا تقع إلا عن قصد من العامل هو سبب عملها ووجودها،ويكون قوله بعد ذلك " **وإنما لكل امرئ ما نوى** " إخباراً عن حكم الشرع ، وهو أن حظ العامل من عمله نيته ، فإن كانت صالحة فعمله صالح فله أجره ، وإن كانت فاسدة فعمله فاسد فعليه وزره ، ويحتمل أن يكون التقدير فى قوله: " **الأعمال**

---

(1) [٨] " التحفة العراقية فى الأعمال القلبية " لابن تيمية – ط . دار الإيمان (الإسكندرية) بعناية محمد الشيمي .

(2) [١٢] مختصر معارج القبول ، وراجع " العبودية" لابن تيمية [٧] .

(3) [١٨٢] مختصر معارج القبول ، وراجع [٤: ١٤] " العبودية "،و[٣٢-٣٣] تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران .

(4) [٤] العبودية .

(5) أفاده د . هشام العقدة فى هامش مختصره لمعارج القبول [١٢] .

(6) سبق تخريجه .

بالنيات " صالحةً أو فاسدة ، أو مقبولةً أو مردودة أو مثاب عليها أو غير مثاب عليها بالنيات ؛ فيكون خبرا عن الحكم الشرعي ، وهو أن صلاحها وفسادها بحسب صلاح النية وفسادها.. وقوله بعد ذلك : **" وإنما لكل امرئ ما نوى"** إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به ، فإن نوى خيراً حصل له خير ، وإن نوى به شراً حصل له شر وليس هذا تكريراً محضاً للجملة الأولى ، فإن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده ، والجملة الثانية دلت على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة " [1] .

إذ أن " عمل الحيّ بغير حب ولا إرادة ... ممتنع " [2] ، بل " الحب يحرك إرادة القلب ، فكلما قويت المحبة فى القلب طلب القلب فعل المحبوبات ، فإذا كانت المحبة تامة استلزمت إرادة جازمة فى حصول المحبوبات ، فإذا كان العبد قادراً عليها حصلها "[3] .

وعن النبى ﷺ أنه قال : **" إن العبد ليصلى الصلاة وما كُتِبَ له إلا نصفُها إلا ثلثُها إلا ربعُها إلا خمسُها حتى بلغ عشرها "** [4] " وينبغي أن يُعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى ، فتفاضل الأعمال عند الله – تعالى– بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها ... " [5] .

افتراق القسمين :

إذا وجد عمل القلب – أي : الصالح – فلابد وأن يثمر عمل الجوارح

---

(1) [٧ : ٨] جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم – ط . مكتبة الدعوة (القاهرة) .

(2) [٨٩] التحفة العراقية فى الأعمال القلبية .

(3) [٣٥] العبودية .

(4) صحيح – رواه أبو داود برقم (٧٩٦) في كتاب الصلاة ورواه أحمد (٣٢١/٤) ، وحسنه مصطفى العدوى في تحقيقه للوابل الصيب لابن القيم (٥١) ط . دار الصحابة (الأولى) .

(5) [١٧] الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ، وراجع [٥٣٨ : ٥٤٠] ظاهرة الإرجاء ، فيما نقل عن ابن القيم .

– مادام قدراً عليه – [1] " فإن كان عاجزاً ... ففعل ما يقدر عليه من ذلك ، كان له أجر كأجر الفاعل "[2] .

أما عندما توجد أعمال الجوارح – أي: " صالحة – دون أصولها من أعمال القلوب ، فإن ذلك يكون نفاقاً إما أكبر أو أصغر كُلٌّ بحسبه ، فإن كان هذا النفاق متصلاً بأصل الدين كان ذلك نفاقاً أكبر ، وإن كان متصلاً بشيء فرعي كان نفاقاً أصغر، كما نقل الحافظ ابن حجر– رحمه الله – عن الكرماني – رحمه الله – قوله : " والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاق العمل ، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه "[3].

ويشهد لهذا المعنى تقييد العلماء لكلمة التوحيد بالقيود القلبية كالإخلاص والصدق والحب لتكون صحيحةً منجية عند الله ﷻ ، فإن مَنْ يُظهر الإقرار بأصل الدين يُقبل ذلك منه ويُعامَل على أساسه في أحكام الدنيا ، أما في أحكام الآخرة فيجازى العباد المطلعُ على سرائرهم – سبحانه وتعالى– . كذلك يشهد له ما جاء في عقوبة المُرَائين ومن يطلبون بأعمالهم الدنيا . وكذلك تشهد له الآثار والأدلة التي دلت على أن النفاق يَتَجزَّأ ، وأنه بالتالي ربما حمل مَنْ معه أصل الإيمان خصلة من النفاق ، وأن هنالك المنافق الخالص الذي لن يغفر الله له ، بل هو في الدرك الأسفل من النار[٤] .

---

(1) راجع [٥٢١ :٥٤٠] ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، باب علاقة الإيمان بالعمل والظاهر بالباطن د. سفر الحوالي – ط. مكتب الطيب (القاهرة) " الأولى " .

(2) [٣٥] العبودية .

(3) [١١١/١] فتح الباري ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق – ط . الريان ، وراجع [١١٣ : ١٤٣] " النفاق وآثاره ومفاهيمه " لعبد الرحمن الدوسري ، خاصة " الحد الفاصل بين النفاقين " – ط. مكتبة دار الأرقم (الكويت) " الثانية " . [حيث استُفيد المنقول عن فتح الباري من هذا الكتاب] .

(4) انظر [٢٧٦/٢ :٣٠٩] القول المفيد على كتاب التوحيد ، باب ما جاء في الرياء ، وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا وجامع العلوم والحكم [٩ : ١٥] ، وحقيقة التوحيد [١٣٥ :١٧٧] ، ومختصر معارج القبول [٩٩ :١٠٢] ،والإيمان أركانه حقيقته ، ونواقضه [١٢٩] ، والجهاد ميادينه وأساليبه [٩٦ :١٠٠] كلاهما د . محمد نعيم ياسين.

للتوحيد أصـــــلان : [1]

إنما يتحقق معنى " **التوحيد** " بالنفي ثم الإثبات ، الذي هو أقوى أساليب الحصر والقصر، إذ النفي فقط جحودٌ كامل ، والإثبات فقط لا يمنع الشركة[2] ، أما النفي العام ثم الإثبات لمفرد ، فهذا هو الذي يعني التوحيد.

وتفصيل ذلك كالآتي : -

(١) النفي : يعني : الكفر بالطاغوت:

والطاغوت: ما تجاوز به العبد حَدَّه ، فجعله مستحقاً لعبادة ، أو صرف له شيئاً من عبادة، أو رضى عن شيء من ذلك. إذ أن أصله من الطغيان،وهو: مجاوزة الحد،وأعظم مجاوزة للحَدّ أن يلحق العبد الفقير بالإله القدير، وهو قسمان:

[أ] من رضَي عن ذلك ، فهذا طاغوتٌ في حق نفسه ، مذموم أشد الذَّم .

[ب] من لم يرضَ عن ذلك ، لصلاحه – كالملائكة والأنبياء والمؤمنين – أو لعدم تكليفه وانعدام اختياره – كالمال والثوب ونحوهما – ، فهذا طاغوت في حق من جعله كذلك ، وإن لم يكن في حق نفسه طاغوتاً ولا مذموماً ، فلا يسوغ إطلاق لفظ الطاغوت عليه إلا مقيداً بذم جاعليه كذلك في حق أنفسهم هم.[3]

فالكفر بالطاغوت يعنى :

[أ] جحود كماله ذاتاً وأسماءً وصفاتاً:كما قال– تعالى– : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا ﴾ [4] وكما ذَمَّ ﷻ العجل فقال : ﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴾ [5] بل ذمهم هم ، إذ كيف يعبدونه وهو على هذه الحال ؟! ....

---

(1) أي : توحيد الله – عز وجل – المأمور به شرعاً وهذا يتضمن العلم والعمل كما في التفصيل المثبت في صلب هذا البحث .

(2) راجع [٦٣ :٦٤] تطهير الجنان ، و[١٩] حقيقة التوحيد ، و[٣١/١] القول المفيد على كتاب التوحيد، و[٢٣] الولاء والبراء فى الإسلام لمحمد القحطاني – ط. دار طيبة" الأولى"

(3) راجع [٣٠/١] القول المفيد على كتاب التوحيد ، و [٢٩ : ٣٠] تطهير الجنان ، و[٢٨ : ٣٣] حقيقة التوحيد ، و[٢٣] الولاء والبراء فى الإسلام لمحمد القحطاني – ط . دار طيبة " الأولى " .

(4) [١٧ – العنكبوت] .

(5) [٨٩ – طه] .

[ب] جحود استحقاقه للعبادة: كما قال – تعالى– :﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1] وأخبر تعالى عن كل ما يُعبد من دونه مُستنكِراً فقال :﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡ ﴾[2] وحَكَى لنا استِنْكَار عباده لذلك في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٧ ﴾[3] .

[ج] البراءة من عبادته ومن عابديه بُغْضاً وعداءً: كما قال :﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾[4] ، ويُضاف إلى ذلك البراءة منه إن كان ممن لا يجب توليه كما قال– تعالى– : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾[5] فإذا كان هذا التبرُّؤ مع من لا يجب تَوَلِّيه – وهو هنا : الأصنام ، مع عدم رضاه – فهو آكد وأَلْزَم مع من يرضى بذلك ، والله – تعالى – أعلم.[6]

(٢) الإثبات : يعني الإيمان بالله – تعالى–:

والله : عَلَمٌ على الرب - تبارك وتعالى – وأَصْله " الإلـه " ومعناه : ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ؛ لأنه يتضمن صفة الألوهية " ، وهو الاسم الجامع لمعاني الأسماء كلها والصفات كلها ، وقد رَجَّحَ طائفة من أهل العلم أنه الاسم الأعظم الذي إذ دُعِيَ به أجاب وإذا سُئل به أعْطىَ[7].

فالإيمان بالله يعني :

---

(1) [١٧ –النحل] .

(2) [٥٥ – الفرقان] .

(3) [٦٦ – ٦٧ الأنبياء] .

(4) [٤ – الممتحنة].

(5) [٢٦ – الزخرف] .

(6) راجع [١٨٣ : ٢٠٣] القول المفيد على كتاب التوحيد ، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، وانظر المواضع المذكورة فى الهامش السابق أيضاً .

(7) انظر [٢٠] " الإيمان : أركانه ، حقيقته ، نواقضه " و[٢٠ : ٢٤] حقيقة التوحيد ، و[١٨٩ : ١٩٠] " العقيدة فى الله " وراجع [٢٨ : ٧٨] " تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد " لسليمان آل الشيخ – ط. المكتب الإسلامي " السادسة " بإشراف محمد الشاويش. و[١٩ : ٢٣] " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " لعبد الرحمن آل الشيخ .– ط . مؤسسة قرطبة – بتحقيق أشرف عبد المقصود .

[أ] اعتقاد كمال الله ذاتاً وأسماءً وصفاتاً وأفعالاً: بل له ﷻ من الكمال أكمله[1].

[ب] اعتقاد استحقاقه – سبحانه وتعالى – للعبادة : و هذا لازم الاعتقاد السابق – كما مر [2] – ، وهو وما قبله يمثلان الشق الخبري في الشهادة .

[ج] بذل كل أنواع العبوديات الباطنة والظاهرة لله - تعالى-.[3]

[د] الولاء لله ولعبادته– أي : دينه – **ولعباده المؤمنين** – وأعظمهم رسل الله – صلوات الله وسلامه عليهم – **حباً ونصرةً** : كما قال – تعالى- **:** ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٤] بل قال – تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [٥] .

محاور التوحيد العملي :

و هذه المحاور ظاهرة مُعبِّرة عن أصول الأعمال القلبية – تندرج تحتها آحاد أعمال الجوارح الصالحة – ، والتي ينتفي الإيمان بانتفاء أيٍّ منها ، أو ببذل شيء منها لغير ربنا – تبارك وتعالى– ولو على سبيل الشركة ، كما قال ﷻ في الحديث القدسيّ :" **أنا أغنى الشركاء عن الشرك** "[6]. وهى :

(١) توحيد الطاعة والانقياد

---

[1] راجع ما سبق فى التوحيد العلمي .

[2] راجع علاقة توحيد العلم بتوحيد العمل .

[3] راجع ما سبق فى " للعمل قسمان " ، بالإضافة للمواضع السابقة .

[4] [٥٥ : ٥٦ – المائدة] .

[5] [١٤ – الصف] .

[6] صحيح – رواه مسلم (٢٩٨٥) في كتاب الزهد والرقائق ، وابن ماجة (٤٤٠٢) في كتاب الزهد من حديث أبي هريرة ﷺ .

فالطاعة المطلقة لله وحده ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [١] " وقد اتفق الأصوليون أجمعون على أن الحاكم لجميع أفعال المكلفين إنما هو الله ﷻ، فهو وحده مصدر جميع الأحكام الشرعية، ولذلك اشتهر من أصولهم (لا حكم إلا الله) "[٢] ، والرسول ﷺ يطاع لأن طاعته طاعة لله ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [٣] وعنهما تصدر جميع الأحكام ، وإليهما المرجع عند التنازع ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [٤]

بل دَلَّت الآية " على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسُنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر"[٥] كما قال ابن كثير– رحمه الله – ، ومن جعل لغيره سلطة عليا في التشريع – ولو لحكم واحد – لَحِقَه قول الله ﷻ لِمَنْ زعم حِلَّ الميتة لكونها ذبيحة الله – مع أن الله قد حَرمَّها– : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[٦]. قال ابن تيمية – رحمه الله – : " وهذا هو حقيقة دين الإسلام الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، فالمستسلم له ولغيره مشرك ، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر"[٧] ، " والمشرك به والمستكبر عن عبادته : كافر"[٨] ، ويعلل ذلك العز بن عبد السلام – رحمه الله – بقوله : " وتفرد الإله بالطاعة لاختصاصه بنعم الإنشاء والإبقاء والتغذية والإصلاح الديني والدنيوي ، فما من خير إلا هو جالبه ، وما من ضير إلا هو سالبه ، وليس بعض العباد بأن يكون مطاعاً أولى من البعض ؛ إذ ليس لأحد منهم إنعام بشيء مما ذكرته

---

(1) [١١٤ – الأنعام] .

(2) [٦٠] " فاعلم أنه لا إله إلا الله " د . صلاح الصاوي – ط . دار الإعلام الدولي " الثانية " ، وانظر [٢١:١٨] " الواضح في أصول الفقه للمبتدئين " د . محمد الأشقر – ط . دار النفائس ومكتبة دار الفتح (الأردن) " الخامسة " .

(3) [٨٠ – النساء] .

(4) [٥٩ – النساء] .

(5) [٦٩٠/١] تفسير ابن كثير ط. مكتبه دار السلام (الرياض) ودار الفيحاء (دمشق) الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م لجمعية إحياء التراث الإسلامي (الكويت) .

(6) [١٢١–الأنعام] – وانظر [٢٣١/٢] تفسير ابن كثير .

(7) [٣٧] العبودية .

(8) [٩١/٣] مجموع الفتاوى .

في حق الإله ، وكذلك لا حكم إلا له "[1] " فمن اتخذ مع الله – تعالى– مشرِّعاً في العبادات أو حكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان"[2] وهذا من المُجَمعَ عليه، كما يقول ابن كثير– رحمه الله– : " فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء ، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كَفَر فكيف بمن إلى تحاكم إلى الياسق[3] وقدمها عليه ؟! من فعل كفر بإجماع المسلمين"[4]

.

(٢) توحيد التنسك والتقرب.

فالأعمال التى لا تُقام إلا على وجه التعبد والتقرب والأعمال التى تَعَبَّدَنا الله بصرفها له،لا يجوز صرفها لغيره ، بل يُعَدُّ ذلك شركاً بالله،ومن هذه الأعمال :

أ– الدعاء : فدعاء الله عبادة لله ، كما قال ﷺ **" الدعاء هو العبادة "**[5]. ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[6] ؛ بل قال ﷺ : **" إنه من لم يسأل الله يغضب عليه "**[7] ، وأذكر ﷻ على من يدعو غير بقوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [8] وجعل ذلك تأليها لغيره معه بالباطل ، وهو – سبحانه – وحده الإله بالحق ، ثم حكم الله – تعالى– على مَنْ يُدعى من دونه

---

(1) [٥٠] " نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية " د . صلاح الصاوي – ط .دار طيبة (السعودية) " الأولى " نقلاً عن [١٥٨/٢] " قواعد الأحكام " للعز بن عبد السلام .

(2) شرح أصول الإيمان " لمحمد بن العثيمين " – ط . دار الوطن للنشر (السعودية) .

(3) هو شريعة جنكيز خان المأخوذة من الشرائع الإلهية ومن الوثنية ومن هواه ، وكان في بنيه شرعاً متبعاً مع إظهار بعضهم للإسلام .

(4) [١٣٨/١٣] البداية والنهاية ط. دار الحديث (القاهرة) " الخامسة " تحقيق د. أحمد فتيح ، وراجع [٨٩ :١٢٥] حقيقة التوحيد ، و[١٧٠: ١٧٦] الإيمان : أركان حقيقته ، نواقضه وشرح رسالة تحكيم القوانين " لمحمد آل الشيخ " د. سفر الحوالي – ط . مكتب الطيب (القاهرة) الأولى ، "ولماذا نرفض العلمانية؟ " لمحمد بدري– ط .دار ابن الجوزي (الرياض) "الأولى" ، و"التلازم بين العقيدة والشريعة "د. ناصر العقل – ط. دار الوطن للنشر (الرياض) " الأولى " .

(5) رواه الترمذي في سننه برقم (٣٣٧٢) في كتاب الدعوات ، وبرقم (٢٥٩٠ – ٢٦٨٥) صحيح سنن الترمذي للألباني ، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

(6) [٦٠ – غافر] .

(7) حسن رواه الترمذي في سننه برقم (٣٣٧٣) في كتاب الدعوات وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٨٦) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(8) [٦٢ – النمل].

بالعجز ، وعلى مَنْ يدعو مِنْ دونه بالشرك ، في قوله ﷻ : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [1].

[ب] الذبح تقرُّباً : إذ أمر الله – تعالى– بالذبح تقرباً إليه عاطِفاً ذلك على أمره بالصلاة تقرباً إليه ، في قوله ﷻ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [2]، وجعل – سبحانه– الذبح له من شعائر العبودية له ، فقال : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [3] ، بل ومما يجب إخلاصه لله – كالصلاة – بحيث يكون صرف شيء من ذلك لغيره شركاً يناقض معنى الإسلام ، فقال – تعالى– : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[4] " والنسك لغة :العبادة، وفى الشرع: ذبح القربان " [5] ، وقد قال ﷺ : **" لعن الله من ذبح لغير الله "**[6].

[ج] النذر والطواف: و" النذر في اللغة : الالتزام والعهد. واصطلاحاً : إلزام المكلف نفسه لله شيئاً "[7] والطواف معروف ، إذ هو – أي : المكلف لا يفعلهما إلا تقرباً لله خوفاً ورجاء ، طاعةً لقوله – تعالى– : ﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [8] ، ولذلك أثنى الله ﷻ على المؤمنين بقوله: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [9] ، وجعل الطائفين من جملة المتعبدين لله في بيته – تعالى– فقال : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [10] ، فهذه أشياء تصرف لله ﷻ تعبداً له – سبحانه – فصرفها لغيره تعبد لذلك الغير وشرك بالرب ﷻ.[11]

(٣) توحيد الولاء :

---

(1) [١٤ – فاطر] . (2) [٢ – الكوثر] . (3) [٣٦ – الحج] . (4) [١٦٢ :١٦٣– الأنعام] .

(5) [٢٧٧/١] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(6) صحيح – رواه مسلم برقم (١٩٧٨) في كتاب الأضاحي من حديث علي رضي الله عنه .

(7) [٣٠٣/١] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(8) [٢٩ – الحج] . (9) [٧ – الإنسان] .

(10) [١٢٥ – البقرة] .

(11) انظر [٢٥ : ٥٤] " فاعلم أنه لا إله إلا الله " ، و [٤٢ : ٥٤] " تطهير الجنان والأركان عن درك الشرك والكفران " ، و [١١٨ : ١٣٠] " مختصر معارج القبول " ، وشروح أكثر أبواب "كتاب التوحيد " لمحمد بن عبد الوهاب – وهذه أمثلة دون حصر ولا تفصيل ليس هذا محله .

(1) [٧] العبودية .

أصل معنى " **الولاء** " في اللغة : " القرب " ، واصطلاحاً : " الحب والنصرة " ، والنصرة ثمرة للحب ، والحب لله أصل تأليهه وعبادته – وقد سبقت الإشارة لذلك – ،" بل لا تُستحق المحبة ولا الذل التام إلا لله " [1] و" جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة لله "[2] حتى " محبة رسول الله ﷺ وجبت لمحبة الله – تعالى– "[3] ، لأن " محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب "[4] ، بل " حقيقة المحبة : لا تتم إلا بموالاة المحبوب ، وهى موافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض ، والله يحب الإيمان والتقوى،ويبغض الكفر والفسوق والعصيان"[5] ، وقد قال ﷺ : " **أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله** "[6] ، فمما سبق تدرك علاقة الولاء لله – تعالى– بتأليهه وعبادته ﷻ ، حيث يشتركان في قيامهما على أصل المحبة لله

– سبحانه – ، ولعل هذا يزيد من بيان ما سبق ذكره في " للتوحيد أصلان " [٧].

وأصل " **البراء** " في اللغة : " البُعد " ، واصطلاحاً : " البغض والعداء " ، والعداء يقوم على البغض ، والبراء تابع للولاء ؛ إذ كما كان حب الله سبباً لحب ما يحب، فهو سبب لبغض ما يبغض، لهذا نهانا الله – تعالى– عن موالاة الكافرين ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾[٨] بل قال – سبحانه – : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [١] فأخبر " الله أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفى أحد الضدين الآخر فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله . فإذا كان الرجل يوالى أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه

---

(2) [٦٩] التحفة العراقية فى الأعمال القلبية .

(3) [٩١] المصدر السابق .

(4) [٣٤] العبودية .

(5) [٣٥] العبودية .

(6) حسن – رواه الطبرانى في الكبير بأرقام (١٠٥٣١ – ١٠٥٣٧) ، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (٢٥٣٦) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٧٢٨) .

(٧) [..... : .....] من هذا البحث ، والمقصود ما ذكر من الولاء والبراء هناك ، فليراجع .

(8) [٢٨ – آل عمران] .

ليس فيه الإيمان الواجب"[٢] وحكم – تعالى – فقال:﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[٣] وقال ابن جرير الطبري – رحمه الله – تعليقاً على هذه الآية :" من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنهم منهم ، أي : من أهل دينهم وملتهم ؛ فإنه لا يتولى متولٍّ أحداً[٤] إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض ، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه " [٥].

---

(1) [٢٢ – المجادلة] .

(2) [١٧/٧] مجموع الفتاوى .

(3) [٥١ –المائدة] .

(٤) أي التولي الكامل ، ولذلك كان يتضمن الولاء على الكفر (الدين الباطل) ، وهذا كفرٌ بلا خلاف .

(5) [١٧٩/٦] جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ط. دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م ، وانظر [١٥٥ :١٦٧] " الإيمان : أركانه حقيقته ، نواقضه " ، و[٦٥ :٨٨] " حقيقة التوحيد " ، و [٩٢ : ١٠١] : فاعلم أنه لا إله إلا الله " و [٥١ :٥٤] " تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين " ، و " الولاء والبراء في الإسلام " لمحمد القطحاني – ط . دار طيبة (السعودية) " الأولى " .

ملحوظات على التوحيد العملي

١- علاقة "التوحيد العملي" "بالتوحيد العلمي" :

التوحيد العملي – توحيد الألوهية – يتضمن توحيد العلم بشقَّيْه – الأسماء والصفات والربوبية – ؛ إذ أن كل عمل يتضمن علماً ولابد – كما سبق بيانه – ، "ومن هنا كانت شهادة " **لا إله إلا الله** " متضمنة لجميع أنواع التوحيد : فمعناها المباشر توحيد الله في ألوهيته ، الذي يتضمن توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته[١] لأن " العبد الذي يوحد الله في ألوهيته على الخلق ، فيقر أنه سبحانه هو وحده المستحق للعبادة وأن غيره لا يستحقها ولا يستحق شيئا منها ، يقر في الواقع بأن الله رب العالمين ، وبأن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة ، لأن إخلاص العبادة لا يكون لغير الرب ، ولا يكون لمن فيه نقص ، إذ كيف يعبد من لم يخلق ولم يدبر أمر الخلق ؟ وكيف يعبد من كان ناقصا ؟ " [٢]

وتوحيد العلم لا يستلزم توحيد العمل – في واقع الناس – كما سبق وذكرنا عن مشركي العرب ، وإن كان التلازم ثابتا بالفطرة في حقيقة الأمر ، فالذي يدعو غير الله – مثلاً – يؤدى عمل جوارح مبني على عمل قلب هو الرغبة والرهبة كما قال – تعالى– : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [٣] " وذلك ثمرة للعلم بتصرف المدعو عطاء ومنعا وهو عائد إلى العلم بتعلق علمه – أي : المدعو – بالدعاء وقدرته على إجابته ونفوذ إرادته ؛ فبهذا يتضح التلازم الفطري بين كل أنواع التوحيد" [٤] ، ويتضح أن المشركين الذين يأبون الدخول في توحيد العمل مع إقرارهم بالتوحيد العلمي – ولو : بأصله – هم في الحقيقة من أشد الناس تناقضا ؛ إذا أن ما يثبتون هو أقوى حجة على ما يرفضون[١].

٢- دعوة الرسل :

---

(1) [١٢] " الإيمان : أركانه ، حقيقته ، نواقضه " .

(2) نفس السابق ، وانظر [٦٠] ، تهذيب شرح الطحاوية " د . صلاح الصاوي – ط . دار الفرقان (مصر) " الأولى " .

(3) [٩٠ – الأنبياء] .

(4) انظر [٢٤٨/٢ :٣٠١] " الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية " لجيلان العروسي – ط . مكتبة الرشد (السعودية) " الأولى " و [٩١ :٩٢] " مختصر معارج القبول " .

(1) انظر [١٤٨ :٢٣٠] " العقيدة فى الله " .

توحيد العبادة : هو دين الرسل جميعا وأصل دعوتهم[٢] كما قال – تعالى– : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [٣] وذلك للآتي :

[١] إن توحيد العبادة هو المقصود من خلق البشر: كما قال – تعالى– : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٤] ، وهو الحكمة الشرعية التي ابتعث الله بها جميع الأنبياء[٥] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَاْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٦] وقال ﷺ :**" نحن الأنبياء أولاد عَلَّات[٧] ديننا واحد"**[٨] ؛ لأن **" حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا "**[٩].

[٢] وهذا العمل هو محل الاختبار في الحياة الدنيا : كما قال – تعالى–: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[10] ، لأن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – يقيمون حجة الله على الناس بإبلاغ العلم لهم ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[11] ، ويبقى على الناس حسن تلقي العلم وإخلاص بذل العمل ، فالابتلاء – و هو الحكمة الكونية للخلق – يتعلق بهذا العمل .

[٣] ثم على هذا العمل يترتب دخول الجنة أو النار، لا على العلم وحده : فقد سبق بيان أن العلم بالحق وحده لا يعتبر إيمانا شرعيا منجيا في الآخرة – ولا نكرر هذا – ، وتأمل قول الله ﷻ :﴿ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١] وفي المقابل ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ مصداقاً للقسم العظيم

---

(2) انظر [٩٢ :٩٣] مختصر معارج القبول ، و[١٢ :١٣] الإيمان : أركانه ، حقيقته ، نواقضه .

(3) [٣٦ – النحل] .

(4) [٥٦ – الذاريات] .

(5) [٢٥/١ : ٦٩] القول المفيد على كتاب التوحيد

(6) [٢٥ – الأنبياء] .

(7) أولاد العلات : الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد ، أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة . من [٩٢] هامش مختصر معارج القبول ، نقلا عن "النهاية فى غريب الحديث والأثر " لابن الأثير

(8) صحيح – رواه مسلم برقم (٦٠٨٥) في كتاب الفضائل ، من حديث أبى هريرة ﷺ .

(9) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٥٩٦٧) في كتاب اللباس ، ومسلم برقم (٣٠ – ٤٩) في كتاب الإيمان . من حديث معاذ بن جبل ﷺ .

(10) [الملك : ٢] .

(11) [١٦٥ – النساء]

(1) [٤٣ – الأعراف] .

(2) [٩٢ : ٩٣ – الحجر] .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [٢] تدرك بجلاء أن كل من النجاة والهلاك مرتبط بالعمل ، ارتباط النتيجة بالسبب .

٣- الأصل في البشر:

إن الأصل في البشر الإيمان والتوحيد ، وذلك باعتبارين :

[١] باعتبار التاريخ : فقد بدأ الناس حياتهم على الإيمان والتوحيد ، إذ بدأ تاريخ البشر بآدم – عليه السلام – ، وقد كان نبيا ، ثم تابعه أهله وبنوه على ذلك الإيمان والتوحيد ، حتى طرأ الشرك بعد ذلك قبل نوح – عليه السلام – الذي هو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض – كما في حديث الشفاعة[3] – ، بسبب الغلو في الصالحين قال – تعالى– : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[٤] ، قال ابن عباس– رضي الله عنهما : " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا [٥] – أي : صوروهم على صور أولئك الصالحين– وسموها بأسمائهم ففعلوا ، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت"[٦] ، وقال أيضا : " كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا ؛ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"[1].

وهذا يمنح المؤمن نسباً رفيعاً متصلا بكل المؤمنين والأنبياء ، وإلى آدم – عليه السلام – ، ويمنحه ثقةً وثباتاً إذ هو الامتداد الصحيح للوجود البشرى في هذه الدنيا، وما الكفر وأهله إلا مرض طارئ دخيل، يفسد على البشر خط حياتهم الأصيل .

---

(3) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٤٧١٢) في كتاب التفسير ، ومسلم برقم (١٨٨) في كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة ﷺ .

(4) [٢٣ – نوح].

(5) أنصاب : جمع نصب ، واصله ما نصب ، كغرض ونحوه ، والمراد هنا : الأصنام المصورة على صورهم ، المنصوبة فى مجالسهم . من : هامش تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران .

(6) صحيح – رواه البخاري برقم (٤٩٢٠) في كتاب التفسير من حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – .

(1) صحيح ، رواه الحاكم فى المستدرك (٤٤٢/٢) في كتاب التفسير من حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

[٢] باعتبار كل إنسان على حدة : من حين يبدأ حياته على ظهر هذه الأرض ، يشهد لهذا حديث النبى ﷺ : **" كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "**[2] ، فالفطرة : الإيمان ، والتغيير يكون بعد ذلك من جهة الآباء ومن هو مثلهم في القرب من الإنسان منذ بداية حياته إن كانوا منحرفين عن هذا الإيمان والتوحيد .

و هذه يمنح المؤمن رصيداً في نفس كل إنسان ، بحيث يرجو أن أزاح الركام عن الفطرة أن يرى منها تلاقيا مع إيمانها القديم – أعنى : الإيمان الذي فطرت عليه من قديم – ، ولا يخلو إنسان عن نداء من فطرته فإما أن يتجاوب معه فيفلح ، وإما أن يهمله أو يقتله فيهلك .

٤- سـد الـذرائـع :

" لما كانت المقاصد لا يتوصل إليه إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها ، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والأذن فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ، وكلاهما مقصود ، لكنه مقصود قصد الغايات ، و هى مقصودة قصد الوسائل ؛ فإذا حرم الرب – تعالى– شيئا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها ، تحقيقا لتحريمه ، وتثبيتا له ، ومنعا أن يقرب حماه ، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم ، وإغراء للنفوس به ، وحكمته – تعالى– وعلمه يأبى ذلك كل الإباء ... والذريعة : ما كان وسيلةً وطريقاً إلى الشيء"[1] ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما كان " وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضى إلى المفسدة ومصلحتها أرجح من مفسدتها"[2].

---

[2] صحيح – رواه مسلم برقم (٢٦٥٨) في كتاب القدر من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

[1] [١١١/٣ : ١١٢] "إعلام الموقعين عن رب العالمين " لابن القيم – ط. دار الحديث (القاهرة) "الأولى" بتحقيق عصام الدين الصبابطي .

[2] الموضع السابق .

ولما كان الشرك بالله هو أشنع المحرمات التي قد يقع فيها إنسان ، فقد قال – تعـــالى– : ﴿ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [3] ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [٤]، وكما أجاب النبي ﷺ عبد الله بن مسعود ﷺ حين سأله : أي الذنب أعظم عند الله ؟ فقال ﷺ : **" أن تجعل لله نداً وهو خلقك "**[٥] ، إذ هو – أي : الشرك – محـبط للأعمـال الصـالحة ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [٦] وهـو الـذنب الـذي لا يغفـر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [٧] ، لما كان كذلك منع الشرع ما يؤدى إليه ويكون سببا لانصراف بعض القلب لغير الله ، فمن ذلك :

[١] تسمية بعض المعاصي شركاً – وإن لم تكن عبادة لغير الله – **لشدة إفضائها إلى الشرك :** وهذا هو الذي يسميه العلماء **" الشرك الأصغر"** فيعرفونه بأنه : " كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه ، وجاء في النصوص تسميته شركا "[٨] ، ومنه :

أ) **الحلف بغير الله** : لقوله ﷺ : **" من حلف بغير الله فقد أشرك"**[١] ، وقد بين النبي ﷺ كفارة ذلك وهو قول : **" لا اله إلا الله"**[٢].

ب) **يسير الرياء** : لقوله ﷺ : **" أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"** ، فسئل عنه ؟ فقال : **الرياء"** [٣]

" ما لم يتصل رياؤه بأصل الدين"[٤] .

---

(3) [١٣ – لقمان] .

(4) [٤٨ – النساء] .

(5) صحيح – رواه البخاري برقم (٤٤٧٧) في كتاب التفسير ، ورواه في مواضع أخرى بأرقام (٤٧٦١ ، ٦٠٠١ ، ٦٨١١ ، ٦٨٦١ ، ٧٥٢٠) .

(6) [٦٥ – الزمر].

(7) [٤٨ – النساء].

(8) [١/١٣٩] هامش القول المفيد على كتاب التوحيد ، و [٣٤] هامش "الإخلاص والشرك الأصغر " لعبد العزيز العبد اللطيف ط . دار الوطن للنشر ، وكلاهما نقلا عن [٥١٧/٧] فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

(1) صحيح – رواه أحمد (٣٤/٢ – ٦٩ – ٨٦) ، والترمذى في كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله برقم (١٥٣٥) والحاكم في المستدرك (١٨/١) ، وصححه أيضاً الألبانى في الصحيحة برقم (٢٠٤٢) وفي الأرواء برقم (٢٦٢٧) .

(2) متفق عليه – رواه البخارى برقم (٦٦٥٠) في كتاب الأيمان والنذور ومسلم برقم (١٦٤٧) في كتاب الأيمان من حديث أبى هريرة ﷺ .

(3) صحيح – رواه أحمد (٤٢٩/٥) والطبرانى في الكبير (٤٣٠١) ، وصححه الألبانى في الصحيحة (٩٥١) ، وصحيح الجامع (١٥٥١) من حديث محمود بن لبيد ﷺ .

ج) **قول :" ما شاء و شئت" و " لولا الله وأنت":**[٥] كما ذكر ذلك ابن عباس – رضي الله عنهما – والصواب في ذلك ألا يعطف " بالواو" التي يفهم منها المضاهاة بين الله وصفته وبين المخلوق و صفته ، وإنما يعطف "بثم" التي تجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب ﷻ وهكذا[٦] .

[٢] منع أشياء – وإن لم تسم في الشرع شركاً – **للخوف من إفضائها إلى الشرك ، ومن ذلك :**

أ) **النهي عن مجاوزة الحد في مدح النبي ﷺ بحيث ينزل فوق منزلته التي أنزله الله إيا ها** : وذلك في قوله ﷺ : **" لا تطرو ني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله "**[٧] .

ب) **النهي عن اتخاذ القبور** – وإن كانت لأنبياء – **مساجد** : كما في قوله ﷺ : **" لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "** قالت عائشة – رضي الله عنها – : **" يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا "**[1].

٥- شمـــــول العبـــادة :

قال – تعالى– : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ ﴾[2] ، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – : " يأمر – تعالى– نبيه ﷺ أن يقول ويعلن بما هو عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم : الدين المعتدل المتضمن للعقائد

---

(4) تفصيل أثر الرياء على العمل ، راجعه فى هامش مختصر معارج القبول [١٤٠] ، والقول المفيد على كتاب التوحيد [١٤٥ : ١٤٨] ، وتذكر أن من شروط قبول كلمة التوحيد عند الله : الإخلاص.

(5) حسن – رواه أحمد (٢١٤/١ – ٢٢٤ – ٢٨٣ – ٣٤٧) والبخارى في الأدب المفرد (٧٨٣) ، وابن ماجة (٢١١٧) من حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – .

(6) انظر [١٤١] مختصر معارج القبول .

(7) متفق عليه – رواه البخارى برقم (٣٢٤٢) في كتاب أحاديث الأنبياء ، ومسلم برقم (٢٣٦٥) في كتاب الفضائل من حديث أبى هريرة ﷺ .

(1) متفق عليه – رواه البخارى برقم (٤٣٥) في كتاب الصلاة ، ورواه في مواضع أخرى بأرقام (١٣٣٠ ، ١٣٩٠ ، ٤٤٥٣ ، ٤٤٥٤ ، ٤٤٤١ ، ٤٤٣) ، ومسلم برقم (٥٣١) في كتاب المساجد من حديث عائشة – رضى الله عنها – .

(2) [١٦١ : ١٦٣ – الأنعام].

النافعة ، والأعمال الصالحة ، والأمر بكل حسن ، والنهى عن كل قبح ، الذي عليه الأنبياء والمرسلون ... وهذا عموم ثم خصص من ذلك اشرف العبادات فقال: ﴿ قُل إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ أي : ذبحي ، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما ، ودلالتهما على محبة الله – تعالى– وإخلاص الدين له ، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح ، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال ، لما هو أحب إليها ، وهو الله – تعالى– ومن أخلص في صلاته ونسكه ، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله وأقواله ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ في العبادة ، كما أنه ليس له شريك في الملك والتدبير . ليس هذا الإخلاص لله ، ابتداعاً منى ، وبدعاً أتيته من تلقاء نفسي بل ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ أمراً حتماً ، لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ من هذه الأمة ."[٣] وذلك " أن الشريعة موضوعة لإخراج المكلف عن داعية هواه ، حتى يكون عبداً لله".[٤] كما يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – " فالدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ما كان لله . ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله ﷺ وهو المشروع . فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله ، وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله ، بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين : أن يكون لله وأن يكون موافقاً لمحبة الله ورسوله ، وهو الواجب والمستحب . كما قال – تعالى– : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [١] فلابد من العمل الصالح وهو الواجب والمستحب ، ولابد أن يكون خالصا لوجه الله – تعالى– كما قال – تعالى– : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٢] وقال النبي ﷺ : **" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"**[3] وقال ﷺ : **" إنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى ، فمن كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها**

---

[3] [٢٤٥] تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن السعدي – ط . مؤسسة الرسالة "السابعة " (مجلد واحد).

[4] [٤٩٩] الاعتصام ، للإمام أبى إسحاق الشاطبي – ط . دار الرحمة "الأولى" ، تقديم محمد رشيد رضا.

[1] [١١٠ – الكهف] .

[2] [١١٢ – البقرة].

[3] صحيح – رواه مسلم برقم (١٧١٨) في كتاب الأقضية من حديث عائشة – رضى الله عنها – .

أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[4]. وهذا الأصل هو أصل الدين وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، وإليه دعا الرسول ﷺ وعليه جاهد ، وبه أمر ، وفيه رغب ، وهو قطب الدين الذي يدور عليه رحاه "[5] كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – .

فالمطلوب أن يجعل الإنسان حياته عبادةً لله بالإخلاص فيما يأتيه فيها ، ليخرج عن داعية هواه ويكون عبداً لله بالإخلاص له واتباع أمره ، إيجاباً واستحبابا: إيجابا فيما وجب على العبد من ذلك أن يكون لله– كالصلاة والجهاد –، واستحبابا فيما عدا ذلك مما لم ينه عنه العبد – كتقصير ثوب ، أو تناول طعام – . لكن العبادة لها ركائز ومبان أصولها ما جاء في حديث النبي ﷺ **" بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان"**[6] "والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس ، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه"[7] ثم يكمل البنيان بباقي الأفعال والتروك ، إذ الترك بنية صالحة تعبد لله كما الفعل كذلك، فالترك الوجودي للحرام– أي: الذي قد عرفه ودعته نفسه إليه – من العبادات التي يتقرب بها العبد لمولاه – كما ترك صاحب الغار المرأة الحرام مع توفر القدرة والداعي ، ثم توسل إلى الله بهذا الترك[1] – ، بخلاف الترك العدمي – أي : ترك الحرام الذي لم يعرفه أو تدعه نفسه إليه – بل وأوسع من كل ذلك ما جاء عن معاذ رضي الله عنه في ترك القيام قسطاً من الليل ، والنوم فيه واحتساب النوم مثل احتساب القيام[2] ، ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية قد أخذها عنه

---

(4) متفق عليه ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد سبق تخريجه.

(5) [٥٠ : ٥١] العبودية ، لابن تيمية.

(6) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٨) في كتاب الإيمان ، ومسلم برقم (١٦) في كتاب الإيمان من حديث عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – .

(7) [٣٩] جامع لعلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، للحافظ ابن رجب الحنبلي ، وراجع مختصر معارج القبول [١٧٠ : ١٧٤].

(3) متفق عليه – رواه البخاري بأرقام (٢٢١٥ ، ٢٣٣٣ ، ٣٤٦٥ ، ٥٩٧٤) في كتاب البيوع وغيره ، ومسلم برقم (٢٧٤٣) في كتاب الذكر والدعاء من حديث ابن عمر – رضى الله عنهما – .

(4) [٧٩/١] نزهة الفضلاء ، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي ، إعداد محمد بن عقيل موسى . ط . دار الأندلس الخضراء (جدة) الثانية ١٤١٥هـ ، وحكاه عن ابن تيمية فى [٤١] (الإيمان).

(1) [٦٧:٦٦] الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ، ط. دار الصحابة للتراث (طنطا) الأول ١٤١٠هـ ، تحقيق وتعليق : مصطفى بن العدوى .

حين ترك الذكر لبعض الوقت ترويحاً عن النفس وتشويقاً لها حتى يعود إلى الذكر أنشط – كما نقل عنه ذلك تلميذه ابن القيم – رحمهما الله تعالى – [٣].

خلاصة ما سبق في
معنى "لا إله إلا الله"

معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة يقينية توجب إفراد تعلق القلب به حبا وذلا ورغبة ورهبة وخضوعا وتوكلا ؛ فتنصرف له – تعالى – الأعمال وتخلص له فيها النيات .

(فهي توحيد للغاية في حياة الإنسان)

الفصل الثاني

شهادة أن محمدا رسول الله

عليه الصلاة والسلام

المعنى العام للشهادة الثانية

إنه لا يتعبد لله – عز وجل – ، ولا يتدين له ، إلا بالشرع الذي بلغه رسوله محمد ﷺ فيعبد – تعالى– بما شرع ، لا بالأهواء والبدع .

وما جاء عنه ﷺ : أخبار وأوامر ؛ **فلابد من** تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، **وكل ذلك مع** محبته وتوقيره ﷺ **وتوجه القلب لله – تعالى–**[1] .

(فهي توحيد للطريق في حياة الإنسان)

[1] راجع أكثر ذلك في [٤٩:٥٠] تطهير الجنان لآل بوطامي ، و [١٧٤] تهذيب الطحاوية د . صلاح الصاوي ، و [١٣:١٥] تحكيم الشريعة د .صلاح الصاوي ، و [١٨١:١٨٣] حقيقة التوحيد لمحمد حسان ، و [٤٠٦] الإيمان د . محمد نعيم ياسين و[١٠] مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على الواسطية لعبد العزيز السلمان ط. الثالثة عشرة ٢٠٠٠ الرياض إلى غير ذلك مما سيتم العزو إليه في ثنايا البحث – إن شاء الله – .

العلاقة بين الشهادتين

هناك تلازم بين الشهادتين – شهادة الوحدانية وشهادة الرسالة – " فهما شيئان في الأعيان ، وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد"[1] لذلك كان " من كفر بالرسل وهو يزعم أنه يؤمن بالله فهو عند الله كافر لا ينفعه إيمانه ، قال – تعالى– : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا ﴾[2] فقد نصت الآية على كفر من زعم الإيمان بالله وكفر بالرسل ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ، يقول القرطبي في هذه الآية : " نص سبحانه على أن التفريق بين الله ورسله كفر؛ وإنما كان كفراً لأن الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على ألسنة الرسل ، فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم ، ولم يقبلوها منهم ؛ فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها ، فكان كجحد الصانع – سبحانه – وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية ، وكذلك التفريق بين الله ورسله "[3] "[4].

---

[1] [١٣٠/٢] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز تحقيق أبى إدريس محمد عبد الفتاح ، ط . دار البصيرة – الأولى ١٩٩٩م .

[2] [١٥٠-١٥١ النساء].

[3] [٦/ ٥] تفسير القرطبي .

[4] [١٦] الرسل والرسالات د . عمر الأشقر ، ط . دار النفائس الرابعة ١٩٨٩م .

الأصول القلبية للشهادة الثانية

وكما تقوم الشهادة بالتوحيد على علم القلب وعمله ، تقوم الشهادة بالرسالة على علم القلب وعمله ، وبيان تلك الأصول القلبية كما يلي :

(١) اليقين .

وهو أصل الإيمان بالرسول ﷺ ، إذ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : **" اليقين الإيمان كله "** [١] .

وهذا اليقين مبني على الآيات البينات التي أيده ربه عز وجل بها ، وأعظمها : القرآن الكريم والذي بقي التحدي به قائما عبر مئات السنين لكل الإنس والجن وسيبقى كذلك آية غالبة إلى أن يرفعه الله إليه مرة ثانية ، قال – تعالى– : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢] والذي لازالت آياته تتجدد وأسراره تتكشف حينا بعد آخر مقيمة حجة الله على العالمين ، مصداقاً للوعد الكريم ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[٣] ، ومن تلك الآيات المعجزات الحسية الكثيرة والتي تواتر بعضها واشتهر كثير منها ، وهي في مجموعها تفيد العلم اليقيني بوقوع تلك المعجزات أولاً ، وبصدق هذا الرسول ﷺ ثانياً ، ومنها انشقاق القمر ، وحنين الجذع إليه ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وإشباع الخلق الكثير من الطعام القليل ، وإخباره بالمغيبات التي وقعت كما أخبر ﷺ ، واستجابة الله لدعائه ، وعصمته من القتل ، وغير ذلك مما ألفت فيه الكتب[٤].

---

[١] رواه البخاري تعليقا في كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ "بنى الإسلام على خمس" وقال عنه ابن حجر : طرف من أثر وصله الطبراني بسند صحيح .

[2] [٢٣ : ٢٤ – البقرة] .

[3] [٥٣–٥٤ فصلت] ، وراجع مثلا كتب وأشرطة الشيخ عبد المجيد الزنداني والذي كان رئيساً لهيئة الإعجاز العلمي في القران والسنة بالسعودية ، حول موضوع الإعجاز العلمي .

[4] راجع [٥٢–٥٤] الإيمان ، د. محمد نعيم ياسين ، وانظر مراجعه في هامشه .

بل حاله ﷺ وخلقه وعمله كل ذلك من أعظم القرائن والدلائل على صدقه ، وبذلك استدل هرقل على صدقه ﷺ كما في حديث أبى سفيان رضي الله عنه [1].

ثم إن النبوة مشتملة على علومٍ وأعمالٍ لابد أن يتصف الرسول بها ، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال ، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب ؟ بل إن من عرف ما جاء به الرسول ﷺ من الشرائع وتفاصيل أحوالها تبين له أنه أعلم الخلق ، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل ، وأن فيما جاء به من المصلحة والرحمة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.[2]

فهذا اليقين برسالته ﷺ يستلزم اليقين بكل ما صدر منه – بمقتضى النبوة والرسالة – جملة وعلى الغيب . وتفصيلاً فيما علم من التفاصيل[3] ؛ لقوله – سبحانه وتعالى– : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[4] وحين نهت قريش عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن كتابة كل ما صدر عن النبي ﷺ (وكان يكتبه ليحفظه رضي الله عنه) لأنه يتكلم في الغضب والرضا ؛ فأمسك عن الكتاب حتى ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : **" اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق"**[5] ، وتأمل ما جاء عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : " بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال ﷺ **:" يا عدي ، هل رأيت الحيرة ؟"** قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها ، قال : **" فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله "** قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دُعَّار طَيِّئ الذين سعَّروا البلاد ؟ قال : **" ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى "** قلت : كسرى بن هرمز؟ قال: **" كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من**

---

(1) متفق عليه – رواه البخاري (٧) في كتاب بدء الوحي ، وبرقم (٥١) في كتاب الإيمان ، ومسلم برقم (١٧٧٢) في كتاب الجهاد والسير من حديث أبى سفيان رضي الله عنه أي : إذا أضيفت هذه الأشياء إلى غيرها مما ذكر أفادت اليقين كما أشار إلى ذلك الحافظ في الفتح .

(2) السابق ، و[١/١١٤-١٢٣] شرح الطحاوية ، تحقيق أبى إدريس .

(3) راجع هامش (١) صـ ٥٨ .

(4) [٢ : ٤ – النجم] .

(5) صحيح – رواه أحمد (١٦٢/٢ – ١٩٢) ، وأبو داود برقم (٣٦٤٦) في كتاب العلم ، والحاكم في المستدرك (١٠٥/١ – ١٠٦) في كتاب العلم من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – .

يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم ابعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى . فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم " قال عدي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **" اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة "** قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ : **" يخرج ملء كفه "**[1].

وقد أثنى النبي ﷺ على أكابر أصحابه بكمال يقينهم ، فجمعهم مع نفسه الشريفة ﷺ وأثبت لهم إيمانهم بالغيب بكل ما حدَّث به مما أوحي إليه ﷺ مهما بدا في ظاهر الأمر غريبا عند الناس فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، ثم أقبل على الناس ، فقال : **" بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت : إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا للحرث .** فقال الناس : سبحان الله ، بقرة تكلَّم !! قال : **فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر** ، وما هما ثمَّ . وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذا استنقذتها مني فمن لها يوم السَّبُع ، يوم لا راعي لها غيري ، فقال الناس : سبحان الله ذئب يتكلم، قال : **فإني أومن بهذا، أنا وأبو بكر وعمر**، وما هما ثمَّ **"**[2].

" ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال ، أما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك ، فهذا لا يمكن إنكاره ، ولا ينشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس[3] .

---

(1) صحيح – رواه البخاري برقم (٣٥٩٥) في كتاب المناقب من حديث عدى بن حاتم رضي الله عنه .

(2) صحيح – رواه البخاري برقم (٣٤٧١) في كتاب أحاديث الأنبياء من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(3) [١٠٥/١] شرح النووي لمسلم ط . دار المعرفة.

(٢) الحب :

" إن محبة الحبيب ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان "[1] ، " فلا يتحقق الإيمان بدونها ولا يستحق المؤمن اسم الإيمان بدونها "[2] ، وذلك لما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين "**[3] و" نفى الإيمان في الحديث إنما هو نفي لكمال الإيمان الواجب إذا لم توجد المحبة الراجحة على ما سواها من سائر المحاب ، فإذا وجدت هذه المحبة على هذه الصفة فهي دليل على كمال الإيمان بالنسبة لمن اتصف بها في هذا الجانب ، وأما إذا لم توجد هذه المحبة على الصفة الراجحة كان من اتصف بها معرضاً للوعيد لأنه أخل بواجب من واجبات الإيمان التي لا يتم الإيمان بدونها"[4] .

بل قد هدد – سبحانه وتعالى– فقال : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٥]. **"** أي : فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم ؟"[٦] فقد نقل القرطبي – رحمه الله – عن مجاهد والحسن – رحمهما الله – في تفسير قوله – تعالى– : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ ﴾ : " بعقوبةً آجلةٍ أو عاجلة "[٧] ففي " الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله ﷺ ولا خلاف في ذلك ، وأن ذلك مقدم على كل محبوب"[٨] " وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها "[٩].

---

(1) [٢١٣] حقيقة التوحيد لمحمد حسان .

(2) [٥١] محبة الرسول بين الاتباع والابتداع لعبد الرؤوف محمد عثمان ، ط . مكتبة الضياء الأولي نقلا عن [٢١٥] حقيقة التوحيد.

(3) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٥١) في كتاب الإيمان ، ومسلم برقم (١٦٧) في كتاب الإيمان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(4) راجع هامش ٢ في نفس الصفحة .

(5) [٢٤– التوبة] .

(6) [٤٥٢/٢] تفسير ابن كثير .

(7) [٩٢/٨] الجامع لأحكام القرآن لمحمد القرطبي ، ط. دار الحديث (القاهرة) " الأولى " ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، تحقيق د. محمد الحفناوي .

(8) [٩٥/٨] تفسير القرطبي ، وهذا كلام القرطبي – رحمه الله – .

(9) [١٨١/٢] الكشاف للزمخشري المعتزلي . والهوامش من (٣) إلى (٦) منقوله عن [١٠ : ١١] حب النبي ﷺ وعلاماته د . فضل إلهي ، ط . دار الاعتصام (القاهرة) .

وهذه المحبة مبنية على محبة الله – تعالى– أولاً ؛ إذ " جميع الأعمال الإيمانية لا تصدر إلا عن محبة لله" [١] حتى " محبة رسول الله ﷺ وجبت لمحبة الله – تعالى– " [٢] لأن " محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب "[٣] بل " حقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب وهى : موافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض"[٤] وقد خص – تبارك وتعالى– نبيه محمداً ﷺ بأعلى درجات المحبة وهي : " الخلة " والتي تعني : " كمال المحبة المستغرقة للمحب " [٥] فقال ﷺ : **" لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله "[٦] .**

ثم هي مبنية على عظيم فضله ورحمته وإحسانه ﷺ إلى هذه الأمة بل وإلى الناس فجعله ربه – عز وجل – منَّةً مِنهُ على المؤمنين ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٧] ورحمة للعالمين ﴿ وَمَا أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾[٨] فقد كان ﷺ يحمل همّ الأمة ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٩] حتى قال له ربه – تعالى– : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[١٠] وراجع ﷺ ربه – تعالى– في الصلاة حتى خففت من خمسين إلى خمس شفقةً على الناس[11] ، وبالجملة فقد ضرب النبي ﷺ لنفسه معنا مثلاً رقيقاً لطيفاً يدل على مدى حرصه على نجاتنا وعلى مدى اندفاعنا نحو هلاكنا بابتعادنا عنه ﷺ فقال : **" مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبُّهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار ،**

---

(1) [٦٩] التحفة العراقية في الأعمال القلبية لابن تيمية .

(2) [٩١]المصدر السابق .

(3) [٣٤] العبودية لابن تيمية .

(4) [٣٥]المصدر السابق .

(5) [٩٥] التحفة العراقية .

(6) صحيح – رواه البخاري برقم (٣٦٥٦) في كتاب فضائل الصحابة من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – .

(7) [١٦٤ – آل عمران] .

(8) [١٠٧– الأنبياء] .

(9) [١٢٨– التوبة] .

(10) [٦ – الكهف] .

(11) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٣٤١–٣٤٢) في كتاب الإيمان ، ومسلم برقم (١٦١) في كتاب الإيمان ، من حديث أنس بن مالك ﷺ .

وأنتم تفلتون مني "[1] أما في الآخرة فقد ادخر النبي ﷺ دعوته شفاعةً لأمته ، فيقول : **" يا رب أمتي أمتي ، يا رب أمتي أمتي ، يا رب أمتي أمتي "**[2] بل قال ﷺ : **"شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي "** [3] وهو ﷺ صاحب المقام المحمود ، الذي يحمده عليه الأولون والآخرون ؛ حيث يشفع الشفاعة العظمى التي لا يشاركه فيها أحد بأن يأتي الله لفصل القضاء يوم القيامة[4] .

فهذه المحبة العظيمة التي لا تبذل لمخلوق غيره ﷺ تثمر علامات واضحات ذكر منها العلماء ما يلي :[5]

(١)الحرص على رؤيته وصحبته ﷺ ويكون فقدهما أشد من فقد أي شئ آخر في الدنيا .

(٢)استعداد تام لبذل النفس والمال دونه ﷺ .

(٣)امتثال أوامره واجتناب نواهيه ﷺ .

(٤)نصر سنته ، والذب عن الشريعة.

(٥)اتباع هديه باطناً وظاهراً [٦].

وبهذه المحبة ذات العلامات البينات ينال المؤمن حلاوة الإيمان ، مصداقا لحديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "**[٧] بل ويفرح بالجنة وبدرجاتها العالية مع النبي ﷺ مثل الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! متى الساعة ؟ . قال : **وما أعددت للساعة** ؟ قال : حب الله ورسوله . قال : **" فإنك مع من أحببت**

---

(1) صحيح – رواه مسلم برقم (٢٢٨٥) في كتاب الفضائل من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(2) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٣٣٤٠) في كتاب أحاديث الأنبياء ، ومسلم برقم (١٩٤) في كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(3) صحيح – رواه أحمد (٢١٣/٣) ، وأبو داود (٤٧٣٩) في كتاب السنة ، والحاكم (٦٩١١) في كتاب الإيمان وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(4) راجع هامش (٢) في نفس الصفحة .

(5) [١٨] حب النبي ﷺ وعلاماته نقلا عن [٣٦/٢] شرح النووي لمسلم ، و [٩٥/١] فتح الباري لابن حجر ، و[١٤٤/١] عمدة القارئ للعيني . وراجع الرسالة كاملة تجد فيها مواقف رائعة تمثل هذه المعاني في الحياة .

(6) هذه إضافة توضيحية هامة لم تذكر في المرجع السابق .

(7) متفق عليه – رواه البخاري برقم (١٦) في كتاب الإيمان ، ومسلم برقم (٤٣) في كتاب الإيمان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

" قال أنس ﷺ : " فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ : **" فإنك مع من أحببت"** قال أنس ﷺ : " فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم "[1]

[1] متفق عليه – رواه البخاري برقم (٦١٦٧) في كتاب الأدب ، ومسلم برقم (٢٦٣٩) في كتاب البر والصلة والأداب من حديث أنس بن مالك ﷺ

(٣) التوقير:

والمحبة الواجبة للنبي ﷺ محبة بتعظيم وتوقير، قال – تعالى– : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ أي : " أيها الرسول الكريم ﴿ شَٰهِدٗا ﴾ لأمتك بما فعلوه من خيرٍ وشرٍ ، وشاهداً على المقالات والمسائل ، حقها وباطلها ، وشاهداً لله – تعالى– بالوحدانية والانفراد بالكمال ، من كل وجه ﴿ وَمُبَشِّرٗا ﴾ من أطاعك أطاع الله بالثواب الدنيوي والديني ، والأخروي ، و﴿ وَنَذِيرٗا ﴾ لمن عصى الله – تعالى– بالعقاب العاجل والآجل . ومن تمام البشارة والنذارة ، بيان الأعمال والأخلاق ، التي يبشر بها وينذر ، فهو المبين للخير والشر ، والسعادة والشقاوة ، وللحق من الباطل . ولهذا رتب على ذلك قوله ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي : بسبب دعوة الرسول لكم ، وتعليمه لكم ما ينفعكم ، أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله ، المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي : تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه، أي : تعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه ، كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي : تسبحوا الله ﴿ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[1] أول النهار وآخره ، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله ، وهو الإيمان بهما ، والمختص بالرسول ، وهو التعزيز والتوقير ، والمختص بالله ، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو بغيرها"[2] ولما كان لتوقير النبي ﷺ هذه المنزلة من أمر الله – تعالى– به جعل الله في الآية التالية قوله – عز وجل– : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[3] تعظيماً للنبي ﷺ وتوكيداً لبيعته إذ " بين أن بيعتهم لنبيه ﷺ إنما هي بيعة لله "[4] وهو ﷺ " سيد الناس"[5] لأنه إذا كان" الأنبياء هم أشرف الخلق"[6] بل " أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء "[7] فهو ﷺ إمامهم وقائدهم ، وهم تحت لوائه ، قال ﷺ : **" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه**

---

(1) [٨ : ٩ – الفتح] .

(2) [٧٣٦] تفسير السعدي .

(3) [١٠ – الفتح] .

(4) [٢٥٦/١٦] تفسير القرطبي.

(5) متفق عليه – رواه البخارى برقم (٣٣٤٠) في كتاب أحاديث الأنبياء ، ومسلم برقم (١٩٤) في كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(6) [١٣] الرسل والرسالات ، د . عمر الأشقر .

(7) [٢٠٩] الرسل والرسالات ، د. عمر الأشقر ، وأحال إلى (٣٢١/١١) مجموع فتاوى ابن تيمية ولم أجده فيه ، فالله أعلم .

إلا تحت لوائي ، وأنا أول شافع وأول مشفع ، ولا فخر "[1] ، وكيف لا ؟! وقد قال له ربه – تبارك وتعالى– : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[2] **"** أي : أعلينا قدرك ، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي ، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق . فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسول الله ﷺ ، كما في الدخول إلى الإسلام ، وفي الأذان ، والإقامة ، والخطب ، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره ، بعد الله – تعالى– ، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته "[3] ، فالله – تعالى– " قد فرض علينا تعزير رسوله ﷺ وتوقيره ، و**تعزيره** : نصره ومنعه ، و**توقيره** : إجلاله وإعظامه . وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق"[4] " ذلك أن نصر النبي ﷺ فرض علينا لأنه من التعزير المفروض ؛ ولأنه من أعظم الجهاد فى سبيل الله ، ولذلك قال – سبحانه – : ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله – تعالى– : ﴿ إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾[5] "[6] فإننا " نسفك الدماء ونبذل الأموال في تعزير الرسول وتوقيره ورفع ذكره وإظهار شرفه وعلو قدره "[7] ﷺ ولهذا حذر الشرع من عدم التزام مقتضى هذا التعظيم من أدب ، فقال – تعالى– : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[8] .

فإن " الله – سبحانه – نهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته ، وعن الجهر له كجهر بعضهم لبعض ، لأن هذا الرفع والجهر قد يفضي إلى حبوط العمل وصاحبه لا يشعر ... فمن المعلوم أن ذلك لما ينبغي له من التعزيز والتوقير والتشريف

---

(1) صحيح – رواه الترمذي في المناقب ، باب ٣ برقم (٣٨٧٥) وفي صحيح الترمذي برقم (٢٨٥٩) ، وابن ماجة باب ذكر الشفاعة برقم (٤٣٠٧) وفي صحيح ابن ماجة (٣٤٧٦) ، وصححه الألباني برقم (١٥٧١) في الصحيحة .

(2) [٤– الشرح] .

(3) [٨٥٩] تفسير السعدي .

(4) [١١٠] تقريب الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لابن تيمية ، إعداد ، د. صلاح الصاوي ، ط . دار الإعلام الدولي الأولى ١٩٩٥م .

(5) [٣٨ : ٤٠ التوبة] .

(6) [١١١] تقريب الصارم المسلول .

(7) [١٠٩] السابق .

(8) [٢ – الحجرات] .

والتعظيم والإكرام والإجلال ، ولما أن رفع الصوت قد يشتمل على أذى له ، واستخفاف به ، وإن لم يقصد الرافع ذلك "[1] ". وقد قال – تعالى– : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[2] ، وقال : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾[3] ، "

واللمز : العيب والطعن "[4] " وذلك يدل على أن كل من لمزه أو آذاه كان منهم "[5] أي : من المنافقين . بل قال – تعالى– : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌۢ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[6] و " قد دلت هذه الآية أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جاداً أو هازلاً فقد كفر "[7] .

---

[1] [٣٦–٣٧] تقريب الصارم المسلول.

[2] [٥٨– التوبة] .

[3] [٦١ – التوبة] .

[4] [٢٢] تقريب الصارم المسلول .

[5] [٢٢] تقريب الصارم المسلول .

[6] [٦٤ : ٦٦ التوبة] .

[7] [٢١] تقريب الصارم المسلول .

(٤) الطاعة :

" إن حقيقة الرضا بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً تتمثل في تصديق خبره جملة وعلى الغيب ، والتزام هديه جملة وعلى الغيب "[1] إذ قال – تعالى– : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[2] ، بل قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[3] حيث " يخبر – تعالى– خبراً ، في ضمنه الأمر، والحث على طاعة الرسول ، والانقياد له . وإن الغاية من إرسال الرسل ، أن يكونوا مطاعين ، ينقاد لهم المرسل إليهم فى جميع ما أمروا به ، ونهوا عنه ، وأن يكونوا معظمين ، تعظيم المطاع من المطيع. وفى هذا إثبات عصمة الرسل ، فيما يبلغونه عن الله ، وفيما يأمرون به وينهون عنه ؛ لأن الله ، أمر بطاعتهم مطلقاً ، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ ، لما أمر بذلك مطلقاً " [٤] وطاعته ﷺ طاعة مطلقة ؛ حيث قال – تعالى– : ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[5] وفي هذا " سر لطيف وهو دلالته على أن ما يأمر به رسوله يجب طاعته فيه ، وإن لم يكن مأموراً به بعينه في القرآن ، كما قال النبي ﷺ : **" يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يأتيه الأمر من أمري فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله – تعالى– ؛ ما وجدنا فيه من شئ اتبعناه ألا وأنى أوتيت الكتاب ومثله معه "**[٦] أما أولو الأمر فلا تجب طاعة أحدهم إلا إذا اندرجت تحت طاعة الرسول ، لا طاعة مفردة مستقلة ، كما صح عن النبي ﷺ أنه قال : **" على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية الله – تعالى– ، فإذا أمر بمعصية الله – تعالى– فلا سمع ولا طاعة "**[٧] "[٨] .

---

(1) [١٣] تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين ، د . صلاح الصاوي ، وانظر [١٧٤] تهذيب شرح الطحاوية ، د. صلاح الصاوي .

(2) [٨٠– النساء].

(3) [٦٤ – النساء].

(4) [١٤٩] تفسير السعدي .

(5) [٥٩– النساء] .

(6) صحيح – رواه أبو داود برقم (٤٦٠٤) في كتاب السنة ، والترمذي برقم (٢٦٦٤) في كتاب العلم ، وابن ماجة برقم (١٢) في المقدمة ، وأحمد (١٣٠/٤ : ١٣٢) ، وصححه أحمد شاكر في تعليق على كتاب الرسالة للإمام الشافعي (ص ١٩) ، والألباني (١٦٣) تخريج المشكاة و (٢٦٤٠) في صحيح الجامع من حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ .

(7) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٢٩٥٥) في كتاب الجهاد و (٧١٤٤) في كتاب الأحكام ، ومسلم برقم (١٨٣٩) في كتاب الإمارة من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – .

(8) [٤٨ : ٤٩] الرسالة التبوكية ، لابن القيم ، تحقيق أشرف عبد المقصود ، ط . مكتبة التوعية الإسلامية (مصر) الأولى ١٤٠٨هـ .

" وطاعته ﷺ عامة ولا تردد فيها إذ أن ذلك من الإيمان ، قال – تعالى– : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[1] فدل هذا على أنه إذا ثبت لله ورسوله في كل مسألة من المسائل حكم طلبي أو خبري فإنه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب إليه ، وأن ذلك ليس لمؤمن ولا مؤمنة أصلا ، فدل على أن ذلك مناف للإيمان"[2] " بل يعلم المؤمن والمؤمنة ، أن الرسول أولى به من نفسه . فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجاباً بينه وبين أمر الله ورسوله ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ أي : بيناً ، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله ، إلى غيرها من الطرق الموصلة للعذاب الأليم . فذكر أولاً ، السبب الموجب لعدم معارضة أمر الله ورسوله ، وهو الإيمان ، ثم ذكر المانع من ذلك ، وهو التخويف بالضلال الدال على العقوبة والنكال"[3] ، بل إن هذه الطاعة هي امتحان دعوى الإخلاص والمحبة، كما قال– تعالى– : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[4] فهذه الآية **" هي الميزان "** ، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى مجردة ، فعلامة محبة الله ، اتباع محمد ﷺ ، الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه طريقاً إلى محبته ورضوانه ، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه ، إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما . فمن فعل ذلك ، أحبه الله ، وجازاه جزاء المحبين ، وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه ، فكأنه قيل : ومع ذلك ، فما حقيقة اتباع الرسول وصفتها ؟ فأجاب بقوله : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ بامتثال الأمر ، واجتناب النهى ، وتصديق الخبر ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ عن ذلك، فهذا هو الكفر ، والله ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾"[5] وهذا اللزوم للسنة هو المخرج من الفتنة ؛ إذ هو وصية النبي ﷺ قبل موته

---

(1) [٣٦– الأحزاب] .

(2) [٤٤–٤٥] الرسالة التبوكية ، لابن القيم .

(3) [٦١٣] تفسير السعدي .

(4) [٣١ : ٣٢ آل عمران] .

(5) [١٠٥] تفسير السعدي .

عند الاختلاف ، كما في حديث العرباض بن سارية – وقد سبق – ، وقد قال – تعالى– :﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] " وهذا دليل قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس من الدين كله إلى الله ورسوله ، فمن أحال الرد على غيرهما فقد ضاد أمر الله ورسوله ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله فقد دعا بدعوى الجاهلية ، فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله. ولهذا قال الله – تعالى– : ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ وهذا مما ذكرنا آنفا أنه شرط ينتفي المشروط بانتفائه ، فدل على أن من حكَّم غير الله ورسوله في موارد النزاع كان خارجا عن مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر ، وحسبك بهذه الآية العاصمة القاصمة بيانا وشفاء ، فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها ، عاصمة للمتمسكين بها المتمثلين ما أمرت به . قال – تعالى– : ﴿ لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2]. وقد اتفق السلف والخلف على أن الرد إلى الله وهو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته ، والرد إلى سنته بعد وفاته. ثم قال – تعالى– : ﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ أي : هذا الذي أمرتكم به من طاعتي وطاعة رسولي وأولياء الأمر، ورد ما تنازعتم فيه إليَّ وإلى رسولي خير لكم في معاشكم ومعادكم ، وهو سعادتكم في الدارين ، فهو خير لكم وأحسن عاقبة . فدل هذا على أن طاعة الله ورسوله وتحكيم الله ورسولـه ، هو سبب السعادة عاجلاً وآجلاً . ومن تدبر العالم والشرور الواقعة فيه علم أن كل شر في العالم سببه مخالفة الرسول والخروج عن طاعته ، وكل خير في العالم فإنه بسبب طاعة الرسول . وكذلك شرور الآخرة وآلامها وعذابها إنما هو من موجبات مخالفة الرسول ومقتضياتها ، فعاد شر الدنيا والآخرة إلى مخالفة الرسول وما يترتب عليه ، فلو أن الناس أطاعوا الرسول حق طاعته لم يكن في الأرض شرٌ قط ، وهذا كما أنه معلوم في الشرور العامة والمصائب الواقعة في الأرض ، فكذلك هو في الشر والألم والغم الذي يصيب العبد في نفسه ، فإنما هو بسبب مخالفة الرسول ولأن

---

(1) [٥٩– النساء] .

(2) [٤٢– الأنفال] .

طاعته هي الحصن الذي من دخله كان من الآمنين ، والكهف الذي من لجأ إليه كان من الناجين . فعلم أن شرور الدنيا والآخرة إنما هي الجهل بما جاء به الرسول ﷺ والخروج عنه ، وهذا برهان قاطع على أنه لا نجاة للعبد ولا سعادة إلا بالاجتهاد في معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علما والقيام به عملا . وكمال هذه السعادة بأمرين آخرين : إحداهما : دعوة الخلق إليه ، والثاني : صبره واجتهاده على تلك الدعوة .

فانحصر الكمال الإنساني على هذه المراتب الأربعة :

أحدها : العلم بما جاء به الرسول ﷺ .

والثانية : العمل به.

والثالثة : نشرة في الناس ودعوتهم إليه .

والرابعة : صبره وجهاده في أدائه وتنفيذه "[1].

وقال – تعالى– : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[2] " فكل من اتخذ غير الرسول يترك لأقواله وآرائه ما جاء به الرسول ﷺ فإنه قائل هذه المقالة لا محالة . ولهذا - هذا الخليل - كنى عنه باسم "فلان" إذ لكل متبع أولياء من دون الله فلان وفلان . فهذا حال الخليلين المتخالين على خلاف طاعة الرسول ﷺ ومآل تلك الخلة إلى العداوة واللعنة. كما قال – تعالى– : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3] وقد ذكر حال هؤلاء الاتباع وحال من تبعوهم في غير موضع من كتابه كقوله – تعالى– : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾[4] تمنى القوم طاعة الله ورسله حين لا ينفعهم ذلك ، واعتذروا بأنهم أطاعوا كبراءهم ورؤساءهم ، واعترفوا بأنهم لا عذر لهم في ذلك ، وأنهم أطاعوا السادات والكبراء وعصوا الرسول ، وآلت تلك الطاعة والموالاة إلى قولهم ﴿ رَبَّنَآ

---

[1] [٥١ : ٥٢] الرسالة التبوكية .

[2] [٢٧ : ٢٩ – الفرقان] .

[3] [٦٧– الزخرف] .

[4] [٦٦ : ٦٨ – الأحزاب] .

ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ وفى بعض هذا عبرة للعاقل وموعظة شافية، وبالله التوفيق "[1] " قال الإمام أحمد ، في رواية الفضل بن زياد : نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً ، ثم جعل يتلو ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2] الآية ، وجعل يكررها ويقول : وما الفتنة ؟ الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شئ من الزيغ، فيزيغ قلبه فيهلكه وجعل يتلو هذه الآية ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [3] "(4).

فما أروع استجابات الصحابة رضي الله عنهم لإرشادات نبيهم ﷺ ، لما قال لهم " **إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية ، إنما ذلكم من الشيطان** - حين ينزلون منزلا في سفر- فكانوا بعد ذلك ينضم بعضهم إلى بعض حتى يقال " لو بسط عليهم ثوب لعمهم"[5] ، ولما أمر منادياً فنادى في الناس : " **إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية** " فأكفئت القدور وإنها لتفور باللحم " [6] ، ولما أمر منادياً ينادى : " **ألا إن الخمر قد حرمت** " قال أنس : فقال لي أبو طلحة : اخرج فأهرقها . فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة "[7] .

---

(1) [٥٥ : ٥٦] الرسالة التبوكية .

(2) [٦٣- النور] .

(3) [٦٥- النساء] .

(4) [٣٧ : ٣٨] تقريب الصارم المسلول على شاتم الرسول .

(5) صحيح – رواه أبو داود برقم (٢٦٢٨) في كتاب الجهاد من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وصححه الألباني في صحيح أبى داود برقم (٢٢٨٢).

(6) صحيح – رواه البخاري برقم (٤١٩٩) في كتاب المغازي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(7) صحيح – رواه البخاري برقم (٢٤٦٤) في كتاب المظالم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

المحاور الظاهرة للشهادة الثانية (للـزوم السنـة)

ذلك أن " السنة هي الشريعة ، وهى ما شرعه الله ورسوله من الدين "[1] وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته إلى أتباع عدى بن مسافر – رحمهما الله – : " وأنتم تعلمون – أصلحكم الله – أن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها :هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات . وذلك إنما يعرف بمعرفة أحاديث النبي ﷺ الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وما تركه من قول وعمل ، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان "[2]

ويتحقق ذلك بمحورين كبيرين :

(١) ترك البدع :

وتعريف البدعة : " طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية "[٣] كما ذكر الشاطبي – رحمه الله – .

فقولـه : **" طريقة "** : " يقصد بها السبيل والسنة ، وكل ما رسم للسلوك عليه أو اتخذ للتعبد به ، سواء كان في المسائل العلمية أو المسائل العملية "[٤]

وقولـه : **" في الدين"** : " تقييد للطريقة المسلوكة بأنها في الدين ؛ لأنها فيه تخترع وإليه تنسب ، وبه يلصقها مخترعها ، فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة "[٤].

وقوله : **" تضاهي الشرعية "** :" يعنى أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك ، بل هى مضادة لها ، سواء أكانت المضاهاة بالالتزام أو المنع ، كمن يلزم نفسه بعمل لم يلزمه الشرع به ، أو يمنع نفسه من شيء لم يمنعه الشرع ، على وجه القربة والديانة ، وتكون المضاهاة بالالزام والمنع . وتخصيص زمان أو مكان أو هيئة بصفة أو

---

(1) [٤/٤٣٦] مجموع الفتاوى .

(2) [٣/٣٧٨] مجموع الفتاوى ، وهذا النقل والسابق عن مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة ، د . ناصر عبد الكريم العقل ، من سلسلة رسائل ودراسات في منهج أهل السنة (٤) ، ط . دار الصفوة (القاهرة) الثانية ١٤١٢ هـ .

(3) [٢٨] الاعتصام ، للإمام الشاطبي ، تقديم وتصحيح محمد رشيد رضا ، ط . دار الرحمة ، الأولى ١٤٠٨هـ .

(4) [١/٢٥٤ : ٢٥٥] حقيقة البدعة وأحكامها ، لسعيد الغامدي ، ط . مكتبة الرشد (الرياض الرابعة ١٤١٢ هـ [مستفيدا من السابق] .

عمل لم يخصصها الشرع ، وتكون بإلحاق حكم شرعي بالعمل المحدث من غير أن يكون له ذلك الحكم ، وغير ذلك من أنواع المضاهاة " [١]

وقوله : " يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية " : " ومعناه أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم ، لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوهها ، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته ، فإن تعلقت بالعبادات فإنما أراد بها أن يأتي تعبده على أبلغ ما يكون في زعمه ؛ ليفوز بأهم المراتب في الآخرة في ظنه ، وإن تعلقت بالعادات فكذلك ؛ لأنه إنما وضعتها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها "[١] ذلك " أنه لابد في كل عادي ما شائبة التعبد ؛ لأن ما لا يعقل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهي عنه فهو المراد بالتعبدي، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي ، فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدي ، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والإجارات والجنايات كلها عادي ؛ لأن أحكامها معقولة المعنى ، ولابد فيها من التعبد ؛ إذ هي مقيدة بأمور شرعية لا خيرة للمكلف فيها كانت اقتضاء أو تخييراً ، فإن التخيير في التعبدات إلزام ، كما أن الاقتضاء إلزام حسبما تقرر برهانه في كتاب الموافقات ، وإذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين في معنى التعبد ، فإن جاء الابتداع من ذلك الوجه صح دخوله في العاديات كالعبادات وإلا فلا "[٢].

وتنقسم البدعة إلى نوعين - من حيث النظر في ذات البدعة ، وعلاقتها بالدليل الشرعي ، وعلاقتها بالعمل من حيث الالتصاق والانفراد[٣] - هما :

(١) **البدعة الحقيقية** : " هي التي لم يدل عليها دليل شرعي ، لا من كتاب ولا من سنة ولا إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم ، لا في الجملة ولا في التفصيل "[٤] .

---

[١] السابق .

[2] [٣٢٩] الاعتصام للشاطبي .

(٣) " الحقيقية قد تنفرد عن العمل المشروع وقد تتصل به ، وأما الإضافية فملتصقة بالعمل المشروع ، ومتداخلة معه في غالب أحوالها " [٧/٢] حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي .

[4] [٢١٠] الاعتصام ، للشاطبي .

(٢) **البدعة الإضافية** : " هي التي لها شائبتان : إحداهما لها من الأدلة متعلق ، فلا تكون من تلك الجهة بدعة . والأخرى ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية . فلما كان العمل الذى له شائبتان لم يتخلص لأحد الطرفين وضعنا له هذه التسمية وهي " البدعة الإضافية " أي أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة لأنها مستندة إلى دليل ، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل أو غير مستندة إلى شئ .

والفرق بينهما من جهة المعنى ، أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم ، ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها ، مع أنها محتاجة إليه لأن الغالب وقوعها في التعبديات لا في العاديات المحضة "[1].

ذلك **" أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقا للشريعة في أمور ستة :**

١- **" السبب"** فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيا فهو بدعة مردودة على صاحبها ، مثال ذلك أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول ﷺ فالتهجد عبادة ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعا. وهذا الوصف – موافقة العبادة للشريعة في السبب – أمر مهم يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة .

٢- **" الجنس"** فلابد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة ، مثال ذلك أن يضحي رجل بفرس فلا يصح أضحية لأنه خالف الشريعة في الجنس فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام : الإبل ، البقر ، الغنم .

٣- **" القدر"** فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فنقول : هذه بدعة غير مقبولة لأنها مخالفة للشرع في القدر ومن باب لو أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً فان صلاته لا تصح بالاتفاق.

---

[1] [٢١٠] الاعتصام ، للشاطبي .

٤- " **الكيفية** " فلو أن رجلاً توضأ فبدأ بغسل رجليه ثم مسح رأسه ثم غسل يديه ثم وجهه فنقول : وضوءه باطل لأنه مخالف للشرع في الكيفية [عند من يشترط الترتيب في الوضوء] .

٥- " **الزمان** " فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان ... .

٦- " **المكان** " فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد ولو قالت امرأة : أريد أن اعتكف في مصلى البيت . فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان "[١].

وحكم الابتداع : التحريم ، لأمر الشرع بالاتباع ، وشدة ذمه للابتداع ، كما في مثل قوله ﷺ: " **أما بعد ، فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**"[٢] وزاد النسائي : "**وكل ضلالة في النار** "[٣] ، وقال ﷺ : " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو رد** "[٤] ، " فيكون العمل مردودا على صاحبه فلا يقيم له الله وزنا بل يجعله هباء منثورا "[٥] " وإنما ينجو العبد... بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله ، في كل وقت ، كما قال الزهري : كان من مضى من سلفنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة وذلك أن السنة كما قال مالك – رحمه الله – : مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء : مقصودها واحد ولها أصلان : أحدهما : أن لا يعبد إلا الله . والثاني : أن لا يعبده إلا بما أمر وشرع ، ولا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع . قال – تعالى– :

---

(1) [٢١-٢٣] الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ، لابن عثيمين – رحمه الله – وهي الرسالة الثانية من سلسلة العقد الثمين .

(2) صحيح – رواه مسلم برقم (٨٦٧) في كتاب الجمعة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، ونحوه في صحيح البخاري برقم (٧٢٧٧) في كتاب الاعتصام بالسنة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(3) صحيح – رواه النسائي (١٨٨/١٢ – ١٨٩) في كتاب صلاة العيدين ، وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٥١/١) وهي زيادة صحيحة .

(4) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٢٦٩٧) في كتاب الصلح ، ومسلم برقم (٤٤٦٧) في كتاب الأقضية من حديث عائشة – رضي الله عنها – .

(5) [١٣] البدعة وأثرها السيئ في الأمة ، لسليم الهلالي ، ط . المكتبة الإسلامية (الأردن) الأولى ١٤٠٤هـ ، وانظر أيضا [٥٠-٥١] شرح الأربعين النووية ، للنووي ، تحقيق السيد العربي ، ط . دار الخلفاء (مصر) الأولى ١٤١٦هـ و [٥٤-٦١] جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي ، ط . مكتبة الدعوة (القاهرة) .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [1] وقال – تعالى– : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢] وقال – تعالى– : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[٣] .

فالعمل الصالح : هو الإحسان وفعل الحسنات ، والحسنات: هي ما أحبه الله ورسوله ، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب . فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ، ولا في صحيح السُنة ، فإنها وإن قالها من قالها ، وعمل بها من عمل بها : ليست مشرعة فإن الله ولا يحبها ولا رسوله ، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح .. وقال الفضيل بن عياض في قوله – تعالى– : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٤] قال : أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة "[٥].

(٢) ترك التقليد المذموم :

فإن " الله – تعالى– وضع هذه الشريعة حجة على الخلق كبيرهم وصغيرهم مطيعهم وعاصيهم ، برهم وفاجرهم . لم يختص بها أحداً دون أحد وكذلك سائر الشرائع إنما وضعت لتكون حجة على جميع الأمم التي تنزلت فيهم تلك الشريعة . حتى أن المرسلين بها – صلوات الله عليهم – داخلون تحت أحكامها "[٦] ، فالنبي ﷺ جعل " الشريعة المنزلة عليه حجة حاكمة عليه . ودلالة له على الصراط المستقيم الذي سار

---

(1) [١١٠– الكهف] .
(2) [١١٢– البقرة] .
(3) [١٢٥– النساء] .
(4) [٢– الملك] .
(5) [٢٠ : ٢١] العبودية لابن تيمية .
(6) [٤٩٩] الاعتصام للشاطبي .

عليه ﷺ ولذلك صار عبداً لله حقاً . وهو أشرف اسم تسمى به العباد"[٧] و" صار العلماء حكاماً على الخلائق أجمعين قضاء أو فتيا أو إرشادا ، لأنهم اتصفوا بالعلم الشرعي الذي هو حاكم بإطلاق "[1] وعليه فإن " العالم بالشريعة إذا اتبع في قوله ، وانقاد إليه الناس في حكمه ، فإنما اتبع من حيث هو عالم بها وحاكم بمقتضاها، لا من جهة أخرى ، فهو في الحقيقة مبلغ عن رسول الله ﷺ المبلغ عن الله – عز وجل – ، فيتلقى منه ما بلغ على العلم بأنه بلغ ، أو على غلبة الظن بأنه بلغ لا من جهة كونه منتصبا للحكم مطلقا ، إذ لا يثبت ذلك لأحد على الحقيقة . وإنما هو ثابت للشريعة المنزلة على رسول الله ﷺ وثبت ذلك له ﷺ وحده دون الخلق من جهة دليل العصمة . والبرهان أن جميع ما يقوله أو يفعله حق . فإن الرسالة المقترنة بالمعجزة على ذلك دلت . فغيره لم يثبت له عصمة بالمعجزة بحيث بمقتضاها يساوى النبي في الانتصاب للحكم بالإطلاق ، بل إنما يكون منتصبا على شرط الحكم بمقتضى الشريعة بحيث إذا وجد الحكم في الشرع بخلاف ما حكم لم يكن حاكماً . إذا كان – بالفرض – خارجاً عن مقتضى الشريعة الحاكمة ، وهو أمر متفق عليه بين العلماء ؛ ولذلك إذا وقع النزاع في مسألة شرعية وجب ردها إلى الشريعة حيث يثبت الحق فيها لقوله – تعالى– : ﴿ فَإِن تَنَزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[٢] "[٣].

وتعريف التقليد : " الأخذ بمذهب الغير من غير معرفة دليله "[٤] .

والمذهب : " ما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الاجتهادية "[٥] فلا " يتناول مواقع النصوص الشرعية السالمة من المعارض ؛ وذلك أمر لا خلاف فيه لإجماع العلماء على أن المجتهد المطلق إذا أقام باجتهاده دليلا ، مخالفاً لنص[٦] من كتاب أو سنة أو إجماع ، فان دليله باطل بلا خلاف ، وأنه يرد بالقادح المسمى في الأصول بفساد الاعتبار ، وفساد الاعتبار الذي هو مخالفة الدليل لنص أو إجماع من القوادح

---

(7) [٥٠٠] السابق .

(1) [٥٠١] السابق .

(2) [٥٩– النساء].

(3) [٥٠٢] السابق .

(4) [٥] القول السديد في كشف حقيقة التقليد ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، ط . دار الصحوة ، الأولى ١٤٠٥هـ .

(5) [٦] السابق .

(6) النص : ما دل على المعنى من غير احتمال مقابل. عن [١٥٦] الواضح في أصول الفقه .

التي لا نزاع في إبطال الدليل بها ... وبما ذكرنا تعلم أنه لا اجتهاد أصلا ولا تقليد أصلا في شئ يخالف نصا من كتاب أو سنة أو إجماع "[1].

وينقسم التقليد من حيث حكمه الشرعي إلى ثلاثة أقسام :

(١) **التقليد الجائز** : هو تقليد "غير القادر على الاجتهاد"[2] لمن " هو من أهل العلم والدين ، ولم يتبين له أن قول غيره أرجح من قوله "[3] ويكون من:

أ) **العامي** : يقلد " **عالماً** ، أهلاً للفتيا في نازلة نزلت به ، وهذا النوع من التقليد كان شائعاً في زمن النبي ﷺ ولا خلاف فيه ، فقد كان العامي، يسأل من شاء من أصحاب رسول الله ﷺ عن حكم النازلة تنزل به ، فيفتيه فيعمل بفتياه ، وإذا نزلت به نازلة أخرى لم يرتبط بالصحابي الذي أفتاه أولاً بل يسأل عنها من شاء من أصحاب رسول الله ﷺ ثم يعمل بفتياه "[4] فهو " تقليد مشروع مجمع على مشروعيته "[5] .

ب) ومن " **غير القادر على الاجتهاد** " [٦] وإن لم يكن عاميا " حيث عجز عن الاجتهاد : إما لتكافؤ الأدلة ، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد ، وإما لعدم ظهور دليل له ، فإنه حيث عجز سقط عنه وجوب ما عجز عنه وانتقل إلى بدله وهو التقليد "[٧] .

فإن " الذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة ، والتقليد جائز في الجملة ، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد ، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد ، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد ، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد "[٨].

---

(1) [٦] القول السديد في كشف حقيقة التقليد .

(2) [١٥] الدرة البهية في التقليد والمذهبية من كلام شيخ الإسلام احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، أعده وعلق عليه محمد شاكر الشريف ، ط . مكتبة الصديق (مكة المكرمة) الأولى ١٤٠٨هـ . نقلا عن [٢٠٤/٢٠] مجموع الفتاوى .

(3) [١٦] السابق ، عن [٢٢٥/٢٠] مجموع الفتاوى ، وانظر في نفس الصفحة عن [٢٦٢/١٩] مجموع الفتاوى .

(4) القول السديد في كشف حقيقة التقليد .

(5) [٨] السابق .

(6) [١٥] الدرة البهية عن [٢٠٤/٢٠] مجموع الفتاوى .

(7) [١٦] السابق .

(8) [١٦] السابق.

و" من كان مقلدا لزم حكم التقليد ، فلم يرجح ، ولم يزيف، ولم يصوب ، ولم يخطئ "[١].

(٢) **التقليد الحرام بلا خلاف** : هو " تقليد المجتهد الذي ظهر له الحكم باجتهاده ، مجتهدا آخر يرى خلاف ما ظهر له هو ، للإجماع على أن المجتهد ، إذا ظهر له الحكم باجتهاده ، لا يجوز له أن يقلد غيره المخالف لرأيه "[٢].

فقد : " ذم الله – تعالى– في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نشأ عليه من دين آبائه ، وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله ، وهو : أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحد ؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، والرسول طاعته فرض على كل أحد من الخاصة والعامة ، في كل وقت وكل مكان في سره وعلانيته، وفي جميع أحواله " [٣] " ولهذا نقل غير واحد الإجماع على أنه لا يجوز للعالم أن يقلد غيره إذا كان قد اجتهد واستدل وتبين له الحق الذي جاء به الرسول فهذا لا يجوز له تقليد من قال خلاف ذلك ، بلا نزاع "[٤] ، " والمقصود هنا أن التقليد المحرم بالنص والإجماع : أن يعارض قول الله ورسوله بما يخالف ذلك ،كائنا من كان المخالف لذلك "[٥] ، و"الواجب الإعراض عن هذا التقليد إلى اتباع ما أنزل الله على رسله ، فإنهم حجة الله التي أعذر بها إلى خلقه "[٦].

(٣) **تقليد عالم معين** : وهو " الذي خالف فيه المتأخرون الصحابة وغيرهم من القرون المشهود لهم بالخير ، فهو تقليد رجل واحد معين دون غيره من جميع العلماء ، فإن هذا النوع من التقليد ، لم يرد به نص من كتاب ولا سنة ، ولم يقل به أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا أحد من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير ، وهو مخالف لأقوال الأئمة الأربعة – رحمهم الله – فلم يقل أحد منهم بالجمود على قول

---

(1) [٢٠] السابق ، عن [٢٣٣/٣٥] مجموع الفتاوى .

(2) [٨] القول السديد في كشف حقيقة التقليد .

(3) [١٤] الدرة البهية في التقليد والمذهبية ، عن [٢٦٠/١٩] مجموع الفتاوى .

(4) السابق عن [٢٦٠/١٩] مجموع الفتاوى .

(5) السابق عن [٢٦٠/١٩] مجموع الفتاوى .

(6) السابق عن [١٥/٢٠-١٦] مجموع الفتاوى .

رجل واحد معين دون غيره ، من جميع علماء المسلمين فتقليد العالم المعين من بدع القرن الرابع ومن يدعى خلاف ذلك ، فليعين لنا رجلا واحداً من القرون الثلاثة الأول ، التزم مذهب رجلٍ واحدٍ معينٍ ولن يستطيع ذلك أبدا ، لأنه لم يقع البتة "[1] .

إذ " قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله – سبحانه وتعالى– فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه فى كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله ﷺ ، حتى كان صديق الأمة أفضلها بعد نبيها يقول : أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم " [2] واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصوماً في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله ﷺ ولهذا قال غير واحد من الأئمة: كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ . وهؤلاء الأئمة الأربعة ﷺ قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولون ، وذلك هو الواجب عليهم "[3] .

– " فقد روى أصحاب الإمام أبى حنيفة – رحمهم الله – عنه أقوال في ذلك ، منها " إذا صح الحديث فهو مذهبي" و " إذا قلت قولا يخالف كتاب الله – تعالى– وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي "[٤].

– وكذلك الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – قال : " إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه" و " ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك ، إلا النبي ﷺ "[٤].

– وأيضا الإمام الشافعي – رحمه الله – قال : " أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد " و " إذا صح الحديث فهو مذهبي " و " كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت ؛ فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي "[٤] .

---

(1) هذا التخريج منقول عن المصدر التالي [٩] القول السديد في كشف حقيقة التقليد .

(2) أخرجه ابن اسحق في السيرة بسنده ، وقال ابن كثير عنه : إسناد صحيح ، [٤/٤٩٣] السيرة النبوية لابن كثير .

(3) [٢٦] الدرة البهية في التقليد والمذهبية ، عن [٢٠/٢١٠–٢١١] مجموع الفتاوى .

(4) [٢٤: ٣٠] صفة صلاة النبي ﷺ ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، ط . المكتب الإسلامي الحادية عشر ١٤٠٣ هـ .

– ومثلهم الإمام أحمد – رحمه الله – قال : " لا تقلدني ولا و تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا[١] "[٢] و "من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكه "[٣]

– " ولهذا لما استشار الرشيد مالكاً أن يحمل الناس على موطئه، في مثل هذه المسائل[٤] منعه من ذلك ، وقال : إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وقد أخذ كل قوم من العلم ما بلغهم "[٥] وعليه فلا يجب " على أحد من المسلمين تقليد شخص بعينه من العلماء في كل ما يقول ، ولا يجب على أحد من المسلمين التزام مذهب شخص معين غير الرسول ﷺ في كل ما يوجبه ويخبر به ، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ "[٦] إذ الواجب " على كل مؤمن أن يحب ما أحب الله ورسوله ، وأن يبغض ما أبغضه الله ورسوله مما دل عليه في كتابه فلا يجوز لأحد أن يجعل الأصل فى الدين لشخص إلا لرسول الله ﷺ ، ولا لقول إلا لكتاب الله – عز وجل – " [٧] " أما وجوب اتباع القائل فى كل ما يقوله ، من غير ذكر دليل يدل على صحة ما يقول ، فليس بصحيح ، بل هذه المرتبة هي مرتبة الرسول التي لا تصلح إلا له "[٨] .

لكن يستثنى من هذا الذم ، من ألجأته الضرورة ، كمثل :

أ) الشرط على القضاة أن يحكموا بمذهب معين ، إذا لم يحكموا بالعلم والعدل من غير هذا الشرط ، فيدفع الفساد الأعظم بالتزام الأدنى .[٩]

ب) أن يكون المسلم في أثناء التعلم ، فهو يتعلم على التدريج ؛ لأنه لا يقدر على تعلم كل ما يحتاجه في وقت واحد.[1]

---

(1) وهذا للعلماء الذين يأخذون من الكتاب والسنة ، كما فى [٢٢٦/٢] مجموع الفتاوى ، منقولا في [١٥] الدرة البهية .

(2) [٣١] صفة صلاة النبي ﷺ .

(3) [٣١] صفة صلاة النبي ﷺ .

(4) مسائل الاجتهاد .

(5) [٢٧] الدرة البهية ، عن [٧٩/٣٠] مجموع الفتاوى .

(6) السابق عن [٢١٩/٢٠] مجموع الفتاوى .

(7) [٢٧] الدرة البهية ، عن [٨/٢٠] مجموع الفتاوى .

(8) [٢٨] الدرة البهية ، عن [٣٥ / ١٢٥] مجموع الفتاوى .

(9) انظر [٣٧] الدرة البهية ، عن [٧٤/٣١] مجموع الفتاوى .

وذلك لأن المكلف بأحكام الشريعة ، لا يخلو من أحد أمور ثلاثة :

(١) " أن يكون مجتهدا فيها : فحكمه ما أداه إليه اجتهاده فيها ، لأن اجتهاده في الأمور التي ليست دلالتها واضحة إنما يقع موقعه على فرض أن يكون ما ظهر له هو الأقرب إلى قصد الشارع والأولى بأدلة الشريعة دون ما ظهر لغيره من المجتهدين فيجب عليه اتباع ما هو الأقرب بدليل أنه لا يسعه فيما اتضح فيه الدليل إلا اتباع الدليل ، دون ما أداه إليه اجتهاده ، ويعد ما ظهر له لغوا كالعدم ؛ لأنه على غير صوب الشريعة الحاكمة "[٢].

(٢) " أن يكون مقلداً صرفاً ، خلياً من العلم الحاكم جملة : فلا بد له من قائد يقوده وحاكم يحكم عليه ، وعالم يقتدي به ، ومعلوم أنه لا يقتدي به إلا من حيث هو عالم بالعلم الحاكم و الدليل على ذلك أنه لو علم أو غلب على ظنه أنه ليس من أهل ذلك العلم[٣] لم يحل له اتباعه ولا الانقياد لحكمه "[٤].

(٣) " أن يكون غير بالغ مبلغ المجتهدين : لكنه يفهم الدليل وموقعه ، ويصلح فهمه للترجيح بالمرجحات المعتبرة ، فيه تحقيق المناط ونحوه ، فلا يخلو إما أن يعتبر ترجيحه أو نظره أولاً ، فإن اعتبرناه صار مثل المجتهد في ذلك الوجه. والمجتهد إنما هو تابع للعلم الحاكم ناظر نحوه ، متوجه شطره ، فالذي يشبهه كذلك وإن لم نعتبره فلابد من رجوعه إلى درجة العامي ، والعامي إنما اتبع المجتهد من جهة توجهه صوب العلم الحاكم ، فكذلك من نزل منزلته "[٥] .

فعلى المؤمن المهاجر إلى الله بالعبودية أن يهاجر إلى النبي ﷺ بالمتابعة .

---

(1) انظر [٣٧] الدرة البهية ، عن [٢٠٩/٢٠] مجموع الفتاوى و [٧٨ : ٧٩] القول السديد في كشف حقيقة التقليد ، وبرنامج عملي للمتفقهين ، د . عبد العزيز القاري .

(2) [٥٠٢ : ٥٠٣] الاعتصام ، لشاطبي.

(3) أو ليس من أهل الأمانة في أدائه .

(4) [٥٠٣] الاعتصام ، للشاطبي .

(5) [٥٠٣] الاعتصام ، للشاطبي .

والخلاصة في حد الهجرة إلي النبي ﷺ

" سفر الفكر في كل مسألة من مسائل الإيمان ونازل من منازل القلوب ، وحادثة من حوادث الأحكام ، إلى معدن الهدى ، ومنبع النور المتلقي من فم الصادق المصدوق الذي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1] فكل مسألة طلعت عليه شمس رسالته ، وإلا فاقذف بها في بحر الظلمات ، وكل شاهد عدله هذا المزكي وإلا فعده من أهل الريب والتهمات فهذا حد هذه الهجرة . فما للمقيم في مدينة طبعه وعوائده ، القاطن في دار مرباه ومولده ، القائل : إنا على طريقة آبائنا سالكون ، وإنا بحبلهم مستمسكون وإنا على آثارهم مقتدون ، وما لهذه الهجرة التي كلّت عليهم ؟ واستند في طريقة نجاحه وفرحه إليهم ، معتذراً بأن رأيهم خير من رأيه لنفسه ، وأن ظنونهم وآراءهم أوثق من ظنه وحدسه . ولو فتشت عن مصدر مقصود هذه الكلمة لوجدتها صادرة عن الإخلاد إلى أرض البطالة متولدة بين الكسل وزوجه الملالة . والمقصود : أن هذه الهجرة فرض على كل مسلم ، وهي مقتضى " **شهادة أن محمداً رسول الله** " كما أن الهجرة الأولى مقتضى " **شهادة أن لا اله إلا الله** ". وعن هاتين الهجرتين يُسأل كل عبد يوم القيامة في البرزخ ، ويطالب بها في الدنيا ودار البرزخ ودار القرار . قال قتادة : " كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ "[2] وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين "[3] " ولا تقف عند أقوال المرخصين الذين يقفون مع أقل ما يعتقدون وجوبه[4] ، ويكون غيرهم قد نازعهم في ذلك ، وأوجب ما أسقطوه ، ولعل الأحاديث الثابتة والسنة النبوية من جانبه ، ولا يلتفتون إلى ذلك ويقولون : نحن مقلدون لمذهب فلان وفلان. وهذا لا يخلص عند الله – تعالى–، ولا يكون عذراً لمن تخلف عما علمه من السنة ،

---

(1) [٣ : ٤ – النجم] .

(2) الأثر أورده ابن القيم أيضا في إغاثة اللهفان [٨٤/١] من قول قتادة أيضا . وأورده أيضا في مدارج السالكين [٣٤١/١٠] من قول أبى العالية ، وهو عند ابن جرير بنحوه (كما فى تفسير ابن كثير [٥٥٩/٢] من طريق الربيع عن أبى العالية في قوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال : "يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة : عما كانوا يعبدون ؟ وماذا أجابوا المرسلين ؟ وقال ابن القيم في زاد المعاد [٣٤/١] : "فجواب الأولى بتحقيق "لا إله إلا الله" معرفة وإقرارا وعملا ، وجواب الثانية بتحقيق " أن محمدا رسول الله " معرفة وإقرار وانقيادا وطاعة " أ.هـ . عن اشرف عبد المقصود في هامشه [٣٢] الرسالة التبوكية .

(3) [٣١ : ٣٣] الرسالة التبوكية.

(4) أي : في الصلاة – وهو أصل الكلام – لكن معناه يقبل العموم في الواجبات الشرعية .

فإن الله – تعالى– إنما أمر بطاعة رسوله واتباعه وحده ، ولم يأمر باتباع غيره وإنما يطاع غيره إذا أمر بما أمر به الرسول ﷺ وكل أحد سوى الرسول ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك "[1] .

(1) [٣٦ : ٣٧] رسالة إلى كل مسلم ، لابن القيم وعلق عليه د. أسامة محمد عبد العظيم ، ط . دار الفتح الأولى سنة ١٤٠٤ وهى الرسالة السادسة من سلسلة العلم النافع .

مسائل مرتبطة بالشهادة الثانية

وهي تجمع أهم المتعلقات بها ، فمنها :

المسألة الأولى : **الفرق بين الاستغاثة والتوسل الممنوعين .**

وهذا الفرق من جهتين ، هما :

(١) **جهة المعنى** :

أ) الاستغاثة الممنوعة : " طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة من غير الله ﷻ "[١] ، وهو نوع من الدعاء والتوجيه لغيره – تعالى– لاعتقاد نفع أو ضر يأتي من جهته ، وهذا الطلب ممنوع إذا كان لغائب ، أو فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أو مع اعتماد القلب على المخلوق .[٢]

ب) التوسل الممنوع : " التقرب إلى الله – تعالى- ، بغير ما شرعه ﷻ سببا لذلك "[٣].

(٢) **جهة الحكم** : وهي مترتبة على جهة المعنى [٤].

أ) الاستغاثة الممنوعة : شرك ، لأنها تعبد لغير الله – تعالى– .

ب)التوسل الممنوع: بدعة ؛ لأنها تعبد لله – تعالى– ، بغير ما شرع عن طريق رسول الله ﷺ[٥].

---

(1) [٣٣٥] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(2) انظر السابق .

(3) راجع [٦٢٦ : ٦٢٨] الدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية .

(4) راجع [٧١ : ٧٢] تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران . و [٩٧] تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ، لأحمد بن حجر آل بوطامي ، ط . دار القدس الشريف (المنصورة) الثالثة سنة ١٤٠٨هـ .

(5) يأتي الكلام عن أنواع التوسل وأحكامه قريباً – إن شاء الله – في نفس البحث .

المسألة الثانية. **الاستغاثة بالمخلوق** [1] نوعان :[2]

أولاً : مشروعة : و هى الاستغاثة بالمخلوق الحاضر فيما يقدر عليه ، كما حكى الله – تعالى– عن موسى - عليه السلام - فقال : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[3] ، وبشرط اعتماد القلب على الله وحده لقوله ﷻ : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[4] إذ: تقديم المعمول على العامل يفيد الاختصاص ، مثل : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[5] .

ثانياً : غير مشروعة ، وهى :

١) الاستغاثة بالمخلوق الغائب ؛ لأن هذا يلحقه بالخالق في صفة " كمال العلم" .

٢) أو الاستغاثة بالمخلوق الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ لأن هذا يلحقه بالخالق في صفة " كمال القدرة ".

٣) الاستغاثة بالمخلوق الحاضر فيما يقدر عليه ، لكن مع اعتماد القلب على ذلك المخلوق ، للآية السابقة والتي علق فيها الإيمان على إخلاص التوكل على الله ﷻ .

المسألة الثالثة : **التوسل إلي الله – تعالى** – نوعان :[6]

(١) **مشروع** [لدلالة الشرع عليه] ، ومن أشهر أقسامه [دون حصر] :

أ) التوسل بأسماء الله – تعالى– وصفاته : كما علمنا النبي ﷺ في دعاء كشف الهم والحزن ، ف] قوله : **" أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته**

---

(1) وإنما ذكرت هذه المسألة في هذا الموضع لسببين :

١– ارتباطها بالمسألة السابقة . ٢– أهميتها في ذاتها .

(2) راجع [٣٣٥/١–٣٣٧] القول المفيد على كتاب التوحيد ، و [٢٤٩/١]فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب أحمد الدرويش ، ط . الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإدارية ،والدعوة والإرشاد ، الثانية سنه ١٤١٢هـ

(3) [١٥– القصص] .

(4) [٢٣– المائدة] .

(5) [٥– الفاتحة] .

(6) راجع [٩٨ : ١٠١] تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ، والتوسل أنواعه وأحكامه بحوث لمحمد ناصر الدين الألباني ، نسقها محمد عيد العباسي ، ط . المكتب الإسلامي ، الخامسة سنة ١٤٠٦هـ و [٦٣٥ : ٦٥٨] الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية .

في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ..."[1] وكما في قوله ﷺ : " **اللهم إني أعوذ بعزتك لا اله إلا أنت أن تضلني** "[2] .

ب) التوسل بأعمال العبد نفسه الصالحة : كما في الدعاء الذي سمعه النبي ﷺ " اللهم إني أسألك بأني اشهد انك أنت الله لا اله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ، فقال النبي ﷺ : " **والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى** "[3] ، وكما في حديث الثلاثة في الغار إذ توسل أحدهم ببره بوالديه ، وأحدهم بتركه المعصية لله بعد قدرته عليها ، والآخر بأمانته في أداء حق أجيره[٤].

ج) توسل بدعاء أحد الصالحين الأحياء ، كما في طلب الأعرابي من النبي ﷺ : " يا رسول الله هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا أن يسقينا ، فرفع يديه يدعو : **اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا** " [٥] ، وكما في استسقاء الصحابة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدعاء العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ [٦].

(٢) **غير مشروع** [لعدم دلالة الشرع عليه] :

ويكون بكل سبب بخلاف تلك الأسباب الشرعية السابقة ، كالتوسل بذوات الصالحين، أو بجاههم وحرمتهم أو بالأموات منهم ، وغير ذلك ، فالصحابة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أرادوا الاستسقاء ، وكان قبر النبي ﷺ عندهم ، تركوا كلهم التوسل به ﷺ (أي : بذاته ، أو بجاهه ، أو بدعائه بعد موته ﷺ) وعدلوا إلى

---

(1) صحيح – رواه أحمد (٤٥٢/١ ، ٣٩٤) ، وموارد ابن حبان (٢٣٧٢) ، والحاكم (٥١٩/١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وصححه ابن القيم في شفاء العليل (ص ٢٧٤) ، وأحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٧١٢) ، والألباني في الصحيحة (١٩٩) ، والأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (١٩٨/٤) .

(2) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٢٥٩٧) ، ومسلم برقم (٢٧١٧) في كتاب الذكر والدعاء والاستغفار من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –.

(3) صحيح – رواه أحمد (٦٤٩/٥-٣٥٠) ، وأبو داود برقم (١٤٩٣) في كتاب الصلاة من حديث بريدة رضي الله عنه ، وصححه الألباني (٣٦) في كتاب التوسل .

(4) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٢٢١٥) في كتاب البيوع وغيره ، ومسلم برقم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – .

(5) صحيح – رواه البخاري برقم (١٠١٤) في كتاب الاستسقاء من حديث أنس رضي الله عنه .

(6) صحيح – رواه البخاري برقم (١٠١٠) في كتاب الاستسقاء من حديث أنس رضي الله عنه .

التوسل بدعاء عمه العباس ﷺ أجمعين فإجماعهم على ترك التوسل بالنبي ﷺ مع حاجتهم لذلك وعدم ما يمنعهم (لولا المانع الشرعي) ، هذا الإجماع في هذه الحال حجة على عدم مشروعية ما تركوه [وكقاعدة عامة : ما وجد الداعي إلى فعله ، وعدم المانع ، وأجمعوا – أي الصحابة – على تركه دل ذلك على عدم مشروعيته][1] .

تنبيه : الكلام السابق إنما هو في التوسل إلى الله – تعالى– بغير ما شرع دون أن يكون في ذلك التوسل تعبد لغير الله كدعاء غير الله ، أما إن كان فيه شيء من ذلك فهو شرك ، وهو مثل قول المشركين الذي حكاه الله عنهم : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ .

المسألة الرابعة : **حكمة الرسالة .**

(١) تبليغ الدين ، لقوله – تعالى– : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[2].

(٢) وبيانه ، لقوله : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾[3].

(٣) وإقامته ، لقوله – تعالى– : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[4].

والرسل متعبدون لله – تعالى– بما شرع ، لا يخرجون عن ذلك ، كما في قوله – تعالى– : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[5].

وهم مهتدون بهذا الوحي والشرع ، كما في قوله – تعالى– : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾[6] ، وقوله – تعالى– مخاطبا رسوله ﷺ : ﴿ قُلۡ إِنِ ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ﴾[7] .

---

(1) راجع [٢٢٠ : ٢٢١] اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ، تحقيق صلاح عويضة ، ط . مكتبة الإيمان (المنصورة) الأولى سنه ١٤١٧هـ . و [٣١٦] نفسه .

(2) [٥٤ – النور].

(3) [٤٤ – النحل] .

(4) [٤٤– النحل] .

(5) [١ – الطلاق] .

(6) [٥٢ – الشورى] .

(7) [٥٠– سبأ] .

المسألة الخامسة : **الشفاعة.**

" والشفاعة لغةً : اسم من شفع يشفع ، إذا جعل الشيء اثنين ، والشفع ضد الوتر ، قال – تعالى– : ﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴾[1] ، واصطلاحاً : التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة " [2] .

شروط الشفاعة الشرعية [التي تقع في الآخرة وتنفع] :

(١) **الإذن للشافع :** لقوله – تعالى– : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾[3] وقوله : ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾[4] فلا يأذن الله أن يشفع بين يديه إلا من رضي عنه وأراد إظهار كرامته [5].

(٢) **الإذن والرضى عن المشفوع فيه** : لقوله – تعالى– : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾[6] وقوله ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [7] وهو ﷻ لا يرضى إلا عن أهل التوحيد ، فيأذن في الشفاعة رحمة بهم [ولا يستثنى من هذا الشرط إلا أبوطالب على ما سيأتي بيانه (ومن يشابهه على الراجح)][8].

(٣) **الإذن في نوعية الشفاعة نفسها** : لقوله – سبحانه وتعالى– : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا ﴾ [9] " وقدم الخبر للحصر ، والمعنى : لله وحده الشفاعة كلها ، لا يوجد شيء منها خارج عن إذن الله وإرادته ؛ فأفادت الآية في قوله – تعالى– : ﴿ جَمِيعٗا ﴾ أن هناك أنواعاً للشفاعة "[10] ، ولهذا يختص النبي ﷺ بشيء من الشفاعة لا يشاركه فيه غيره ، كما تختلف أنواع شفاعاته ﷺ [11].

---

(1) [٣– الفجر] .

(2) [٤٢٣/١] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(3) [٢٥٥– البقرة] .

(4) [١٠٩– طه] .

(5) انظر [٤٢٩/١ : ٤٣٠] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(6) [٢٦ – النجم] .

(7) [٢٨ – الأنبياء] .

(8) [٤٣١/١ : ٤٣٢] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(9) [٤٤– الزمر] .

(10) [٤٢٥/١] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(11) انظر [١٥٦/٢] شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين .

ويتلخص مما سبق : **حكمة الشفاعة** ، وهي[1] :

(١) إكرام الشافع بقبول شفاعته .

(٢) ظهور جاه الشافع وشرفه عند الله - تعالى- .

(٣) رحمة المشفوع له ونفعه .

يشفع عند الله – تعالى– يوم القيامة : الملائكة والأنبياء ، كما "في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في حديثه الطويل : " **شفعت الملائكة وشفع النبيون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط** "[2] "[3] وأعظم الخلق شفاعة : النبي ﷺ [على ما سيأتي بيانه – بإذن الله–] ، ويشفع الشهداء ، لقوله ﷺ عن الشهيد : " **ويشفع فى سبعين إنسانا من أقاربه** "[4] ، ويشفع الصديقون[5] ، والأطفال الذين ماتوا قبل البلوغ يشفعون أيضا لآبائهم (أى : كل منهم لوالديه)[6] .

وتنقسم الشفاعات إلى :

أ - **شفاعات خاصة بالرسول** ﷺ، وهي :

(١) " الشفاعة العظمى : وهي من المقام المحمود الذي وعده الله ؛ فإن الناس يلحقهم يوم القيامة في ذلك الموقف العظيم من الغم والكرب ما لا يطيقون ، فيقول بعضهم لبعض : اطلبوا من يشفع لنا عند الله ، فيذهبون إلى آدم أبي البشر ، ..

---

(1) [٤٢٣/١ : ٤٤٢] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(2) متفق عليه – رواه البخاري برقم (٧٤٣٩) في كتاب التوحيد ، ومسلم برقم (١٨٣) في كتاب الإيمان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

(3) [١١٩] مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، لعبد العزيز السلمان ، " مطابع المدينة (الرياض) ، وهى الثالثة عشرة سنة ١٤٢١ هـ .

(4) صحيح – رواه أحمد (١٣١/٤٠) ، والترمذي برقم (١٦٦٣) في كتاب فضائل الجهاد ، وابن ماجة برقم (٢٧٩٩) في كتاب الجهاد من حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ ، وصححه الألباني ، انظر (٢١) تلخيص أحكام الجنائز ط . المكتبة الإسلامية (الأردن) الثانية .

(5) انظر [١٦٥/٢٠] شرح العقيدة الواسطية ، لابن عثيمين ، ولم يذكر دليلا ، فلعله : القياس على شفاعة الملائكة أو الشهداء والله اعلم .

(6) [٣٤٣/٣] فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ولم يذكروا دليلا ، وهناك حديث في الصحيحين قال فيه ﷺ للنساء : " ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابا من النار "فقالت امرأة : اثنين ؟ فقال رسول الله ﷺ "واثنين" [٩٧/٣٠] البخارى ، و [٢٦٣٣] مسلم ، وهناك حديث آخر فيه شفاعة الأفراط ، دون التقييد بعدد ، لكن لم أقف على صحته ؛ فالله اعلم .

فيعتذر ، ثم يذهبون إلى نوح ... فيعتذر ، ... ثم يذهبون إبراهيم ... ، ثم يعتذر ... ثم يذهبون إلى موسى ... لكن يعتذر ... ثم يذهبون إلى عيسى ... ؛ فلا يعتذر بشيء ، لكن يحيل على من هو أعلى مقاما ، فيقول : اذهبوا إلى محمد ، عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ...، فيأتون محمدا ﷺ ، فيشفع إلي الله ليريح أهل الموقف " [1] ويبدأ حسابهم .

(٢) " شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها : لأنهم إذا عبروا الصراط ووصلوا إليها وجدوها مغلقة ، فيطلبون من يشفع لهم ، فيشفع النبي ﷺ إلى الله في فتح أبواب الجنة لأهلها ، ويشير إلى ذلك قوله – تعالى– : ﴿ حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [2] ، فقال : ﴿ وَفُتِحَت ﴾ ، فهناك شئ محذوف أي : وحصل ما حصل من الشفاعة، وفتحت الأبواب ، أما النار، فقال فيها : ﴿ حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [3] وقد قال ﷺ : **" أنا أول شفيع في الجنة "**[4] .

(٣) " شفاعته ﷺ في عمه أبى طالب أن يخفف عنه العذاب [5] : وهذه مستثناة من قوله – تعالى– : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾[6] ، وقوله – تعالى– : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلاً ﴾[7] ، وذلك لما كان لأبي طالب من نصرة للنبي ﷺ ودفاع عنه ، وهو لم يخرج من النار ، لكن خفف عنه حتى صار – والعياذ بالله – في ضحضاح من نار عليه نعلان يغلى منهما دماغه ، وهذه الشفاعة خاصة بالرسول ﷺ، لا أحد يشفع في كافر أبداً إلا النبي ﷺ ، ومع ذلك لم تقبل الشفاعة كاملةً ، وإنما هي تخفيف فقط"[8] .

ب - **شفاعات عامة له ﷺ ولغيره** :

---

(1) [١/٤٢٥ : ٤٢٦] القول المفيد على كتاب التوحيد (باختصار).

(2) [٧٣] الزمر .

(3) [١/٤٢٦ : ٤٢٧] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(4) صحيح – رواه مسلم برقم (١٩٦) في كتاب الإيمان عن أنس رضي الله عنه .

(5) متفق عليه – رواه البخارى برقم (١٨١٤) في كتاب الفضائل ، ومسلم برقم (٢٠٩) في كتاب الإيمان من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

(6) [٤٨] المدثر . (7) [١٠٩] طه .

(8) [١/٤٢٧] القول المفيد على كتاب التوحيد . وقد رجحنا جواز القياس على الاستثناء سابقا .

(١) " الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول ﷺ : **" ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا ؛ إلا شفعهم الله فيه "**[١] ؛ فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار ، فيشفعهم الله في ذلك "[٢] .

(٢) " الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها : قد تواترت بها الأحاديث[٣] ، أجمعت عليها الصحابة واتفق عليها أهل الملة ما عدا طائفتين ، وهما : المعتزلة والخوارج فإنهم ينكرون الشفاعة في أهل المعاصي مطلقا ، لأنهم يرون أن فاعل الكبيرة مخلد في النار ، ومن استحق الخلود ؛ فلا تنفع فيه الشفاعة ، فهم ينكرون أن النبي ﷺ وغيره يشفع في أهل الكبائر أن لا يدخلوا النار أو إذا دخلوها أن يخرجوا منها ، لكن قولهم هذا باطل بالنص والإجماع "[٤] ، وقد قال ﷺ : **" شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي "**[٥] .

(٣) " الشفاعة في رفع درجات المؤمنين ، وهذه تؤخذ من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض ، كما قال ﷺ في أبي سلمة : **" اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين ، وأفسح له في قبره ، ونور له فيه ، واخلفه في عقبه "**[٦] والدعاء شفاعة ؛ كما قال ﷺ : **" ما من مسلم يموت ، فيقوم عل جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا ؛ إلا شفعهم الله فيه "**[٧] "[٨] .

وما سوى ذلك من الشفاعات ، والتي لم تستوف الشروط الشرعية ، لا تقع ولا تنفع للأدلة السابقة في شروط الشفاعة الشرعية ، وإذا كانت :

---

(1) صحيح – رواه مسلم برقم (٩٤٨) في كتاب الجنائز من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – .

(2) [٤٢٨/١] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(3) سبق تخريج حديث الشفاعة ، وانظر جامع الأصول لابن الأثير [٤٧٧/١٠] وتحقيقه .

(4) [٤٢٨/١] القول المفيد على كتاب التوحيد .

(5) صحيح – رواه أبو داود برقم (٤٧٣٩) في كتاب السنة ، والترمذي برقم (٢٤٣٥ ، ٢٤٣٦) في كتاب صفة يوم القيامة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . وهو صحيح كما في تحقيق الأصول (٤٧٦/١٠) برقم (٨٠١٢) .

(6) صحيح – رواه مسلم برقم (٩٢٠) في كتاب الجنائز من حديث أم سلمة – رضي الله عنها – .

(7) سبق تخريجه قريبا .

(٨) [٤٢٨/١ : ٤٣٩] باب القول المفيد على كتاب التوحيد .

أ) تشتمل على تعبد لغير الله فهي شرك[1] ، كما في قوله – تعالى– :﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [2]

ب) أما إن خلت عن ذلك ، ولم يدل عليها الشرع ؛ فهي بدعة باطلة .

المسألة السادسة : **محاور مناقشة أهل البدع** .[3]

(١) عدم اعتمادهم على دليل شرعي صحيح ، بل :

أ) إما أن يحتجوا بما ليس بحجة أصلا ، كعمل طائفة من الناس ، الرؤى، ونحوهما .

ب) أو أن يحتجوا بما هو حجة لو ثبت ، لكنه لم يثبت ، كالحديث الضعيف أو الموضوع .

(٢) أو عدم صحة استدلالهم بما يحتجون به ، ولو كان صحيحا في نفسه .

وربما جمعوا بين السيئتين ، كما فعلوا حين احتجوا على التوسل المبتدع بحديث " اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك" [4] " فإنه ضعيف قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : هذا إسناد مسلسل بالضعفاء : عطية و هو العوفي ، والفضيل بن مرزوق ، والفضل بن الموفق كلهم ضعفاء ... على أننا لو سلمنا بصحة الحديث فأنا لا نسلم أن حق السائلين مخلوق ، إذ حقهم هو إجابة الله وإعطائهم سؤالهم ، وهما صفتان له تعالى ، فحق الخلق قد يكون صفة من صفات الله ، قال – تعالى– : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]"[6].

والحمد لله رب العالمين

---

(1) [١/٤٢٢-٤٤٢-٤٤٣] السابق .

(2) [١٨- يونس] .

(3) انظر [٢/٩:٨] حقيقة البدعة وأحكامها ، وراجع [٨٤:٥٥] تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران [مع مراعاة الخلاف في سماع الأموات ، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم يسمعون سماعا لا ينتفعون به ولا ينفعون غيرهم] .

(4) ضعيف – رواه ابن ماجة (٧٧٨) في كتاب المساجد والجماعات ، وأحمد (٣/٢١) من حديث أبى سعيد الخدري ﷺ ، وإسناده ضعيف ، وقد ضعفه البوصيري في الزوائد والمنذري ، وغيرهما من الأئمة ، وراجع الضعيفة برقم (٢٤) . عن أشرف عبد المقصود في تحقيقه لتطهير الجنان .

(5) [٤٧- الروم] .

(٦) [٧٢ :٧٣] تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران .

الخاتمة

وصية

من
نونية ابن القيم
الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحل بالإنصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرحمن مع ... نصح الرسول فحبذا الأمران
وتمسكن بحبله وبوحيه ... وتوكلن حقيقة التكلان
فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي إليه لصاحب الإيمان
وهو الصراط عليه رب العرش أيضاً ذا وذا قد جاء في القرآن
والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذى سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حزبه ... ولأجل ذاك الناس طائفتان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والكفار مذ قام الورى سجلان
لكنما العقبى لأهل الحق إن ... فاتت هنا كانت لدى الديَّان
واجعل لقلبك هجرتين ولا تنم ... فهما على كل امرئ فرضان
فالهجرة الأولى إلى الرحمن بالإخلاص في سر وفي إعلان
فالقصد وجه الله بالأقوال والأعمال والطاعات والشكران
فبذاك ينجو العبد من إشراكه ... ويصير حقاً عابد الرحمن
والهجرة الأخرى إلى المبعوث بالحق المبين وواضح البرهان

فيدور مع قول الرسول وفعله ... نفياً وإثباتاً بلا روغان
ويحكم الوحي المبين على الذي ... قال الشيوخ فعنده حكمان
لا يحكمان بباطل أبداً وكلٌّ ... العدل قد جاءت به الحكمان
وهما كتاب الله أعدل حاكم ... فيه الشفا وهداية الحيران
والحاكم الثاني كلام رسوله ... ما ثمَّ غيرهما لذي إيمان
فإذا دعوك لغير حكمهما فلا ... سمعاً لداعي الكفر والعصيان
قُل : لا كرامة لا ولا نعماً ولا ... طوعاً لمن يدعو إلى طغيان
وإذا دعيت إلى الرسول فقل لهم ... سمعاً وطوعاً لست ذا عصيان
وإذا تكاثرت الخصور وصيحوا ... فاثبت فصيحتهم كمثل دخان
يرقى إلى الأوج الرفيع وبعده ... يهوي إلى قعر الحضيض الداني
هذا وإن قتال حزب الله بالأعمال لا بكتائب الشجعان
والله ما فتحوا البلاد بكثرة ... أنىّ ؟! وأعداهم بلا حسبان
وكذاك ما فتحوا القلوب بهذه الآراء ... بل بالعلم والإيمان
وشجاعة الفرسان نفس الزهد في ... نفسٍ وذا محذور كل جبان
وشجاعة الحكام والعلماء زهد في ... الثَّنا من كل ذي بطلان
فإذا هما اجتمعا لقلب صادق ... شدّت ركائبه إلى الرحمن
واقصد إلى الأقران لا أطرافها ... فالعز تحت مقاتل الأقران
واسمع نصيحة من له خبر بما ... عند الورى من كثرة الجولان
ما عندهم والله خير غير ما ... أخذوه عمن جاء بالقرآن
والكل بعد فبدعة أو فرية ... أو بحث تشكيك ورأى فلان
فاصدع بأمر الله لا تخش الورى ... في الله واخشاه تفز بأمان
واهجر ولو كل الورى في ذاته ... لا في هواك ونخوة الشيطان
واصبر بغير تسخط وشكاية ... واصفح بغير عتاب من هو جان
واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى ... إن لم يكن بد من الهجران

وانظـر إلـى الأقـدار جاريـة بمـا ... قـد شـاء مـن غـيٍّ ومـن إيمـان
واجعـل لقلبـك مقلتـين كلاهمـا ... بـالحق فـي ذا الخلـق ناظرتـان
فـانظر بعـين الحكـم وارحمهـم بهـا ... إذ لا تـرد مشـيئة الـديان
وانظـر بعـين الأمـر واحملهـم علـى ... أحكامـه فهمـا إذاً نظـران
واجعـل لوجهـك مقلتـين كلاهمـا ... مـن خشـية الـرحمن باكيتـان
لـو شـاء ربـك كنـت أيضـاً مـثلهم ... فالقلـب بـين أصـابع الـرحمن
واحـذر كمـائن نفسـك اللاتـي متـى ... خرجـت عليـك كسـرت كسـر مهـان
وإذا انتصـرت لهـا فأنـت كمـن بغـى ... طفـي الـدخان بموقـد النيـران
والله أخبـر وهـو أصـدق قائـل ... أن سـوف ينصـر عبـده بأمـان
مـن يعمـل السـوآى سـيجزى مثلهـا ... أو يعمـل الحسـنى يفـز بجنـان
هـذي وصـية ناصـح ولنفسـه ... وصّـى وبعـد لسـائر الإخـوان

تم بحمد الله

أبو نور

قائمة المراجع

١- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ، ابن عثيمين [الرسالة الثانية من سلسلة العقد الثمين] .

٢- الإخلاص والشرك الأصغر ، د. عبد العزيز العبد اللطيف ، دار الوطن للنشر (السعودية) .

٣- أصول العقيدة الإسلامية [تهذيب شرح الطحاوية لابن أبى العز] ، عبد المنعم العزي ، دار البشير (طنطا) الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم ، دار الحديث (القاهرة) الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ، تحقيق عصام الدين الصبابطي .

٥- إغاثة اللهفان، ابن القيم، دار المعرفة (بيروت) تحقيق وتعليق محمد حامد الفقي.

٦- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية ، مكتبة الإيمان (المنصورة) الأولى ١٤١٧ هـ تحقيق صلاح عويضة .

٧- (إن ربك حكيم عليم) ، الرسالة الرابعة من وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ، عبد العزيز الجليل ، دار الصفوة (القاهرة) الثانية ١٤١١هـ .

٨- أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، محمد عبد الهادي المصري ، دار طيبة (الرياض) الخامسة .

٩- الإيمان أركانه حقيقته ونواقضه ، د. محمد نعيم ياسين ، دار التوزيع والنشر الإسلامية (القاهرة) .

١٠- البداية والنهاية ، ابن كثير ، دار الحديث (القاهرة) الخامسة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، تحقيق د. أحمد عبد الوهاب فتيح .

١١- البدعة وأثرها السيئ في الأمة ، سليم الهلالي ، المكتبة الإسلامية (الأردن) الأولى ١٤٠٤هـ .

١٢- تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ، أحمد بن حجر آل بوطامي ، دار القدس الشريف (المنصورة) الثالثة ١٤٠٨هـ .

١٣- التحفة العراقية في الأعمال القلبية ، ابن تيمية ، دار الإيمان (الإسكندرية) عناية محمد الشيمي .

١٤- تحقيق كلمة الإخلاص ، ابن رجب الحنبلي ، دار الفتح (مصر) عناية أسامة عبد العظيم .

١٥- تحقيق المجاز والحقيق في صفات الله ، ابن تيمية ، تقديم محمد عبد الرازق حمزة ، مطبعة المدني (جدة).

١٦- تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين ، د. صلاح الصاوي ، دار الإعلام الدولي (القاهرة) الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٧- تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران ، أحمد بن حجر آل بوطامي ، مؤسسة قرطبة (القاهرة) عناية أشرف عبد المقصود .

١٨- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء ابن كثير ، مكتبة دار السلام (الرياض) ودار الفيحاء (دمشق) الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م لجمعية إحياء التراث الإسلامي (الكويت) .

١٩- تقريب الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص) لابن تيمية ، تقريب د. صلاح الصاوي ، دار الإعلام الدولي (القاهرة) الأولى ١٩٩٥م .

٢٠- التلازم بين العقيدة والشريعة ، د. ناصر العقل ، دار الوطن للنشر (الرياض) الأولى ١٤١٢هـ .

٢١- تهذيب شرح الطحاوية لابن أبى العز ، تهذيب د. صلاح الصاوي ، دار الفرقان (مصر) الأولى .

٢٢- التوسل وأنواعه وأحكامه ، محمد ناصر الدين الألباني ، نسقها محمد عيد العباسي ، المكتب الإسلامي (بيروت) الخامسة ١٤٠٦هـ .

٢٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب ، سليمان آل الشيخ ، المكتب الإسلامي (بيروت) السادسة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٢٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن ، عبد الرحمن السعدي ، مؤسسة الرسالة (بيروت) السابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

٢٥- جامع البيان في تفسير القرآن ، ابن جرير الطبري ، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٢٦- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، ابن رجب الحنبلي ، مكتبة الدعوة (القاهرة) .

٢٧- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد القرطبي ، دار الحديث (القاهرة) الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، تحقيق د. محمد الحفناوي .

٢٨- الجهاد ميادينه وأساليبه ، د. محمد نعيم ياسين ، مكتبة الزهراء (القاهرة) ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

٢٩- حب النبي ﷺ وعلاماته ، د. فضل إلهي ، دار الاعتصام (القاهرة) .

٣٠- حقيقة البدعة وأحكامها ، سعيد الغامدي ، مكتبة الرشد (الرياض) الرابعة ١٤١٤هـ .

٣١- حقيقة التوحيد ، محمد حسان ، دار نور الإسلام (المنصورة) الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٥م .

٣٢- الدرة البهية في التقليد والمذهبية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، إعداد وتعليق محمد شاكر الشريف ، مكتبة الصديق (مكة المكرمة) الأولى ١٤٠٨هـ .

٣٣- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ، جيلان العروسي ، مكتبة الرشد (الرياض) الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

٣٤- ذم الجهل وبيان قبح أثره ، د. محمد رسلان ، دار العلوم الإسلامية (القاهرة) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٣٥- رسائل من السجن ، لابن تيمية ، جمعها محمد العبدة ، دار الأرقم (الكويت) الثالثة .

٣٦- الرسالة الأكملية ، ابن تيمية ، عناية أحمد حمدي إمام ، دار المدني (جدة) .

٣٧- رسالة إلى كل مسلم [الرسالة السادسة من سلسلة العلم النافع] ، ابن القيم ، دار الفتح (مصر) الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٣٨- الرسالة التدمرية ، ابن تيمية ، المكتبة السلفية ، الرابعة .

٣٩- شرح الأربعين النووية ، محيى الدين النووي ، دار الخلفاء (المنصورة) الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

٤٠- شرح أصول الإيمان ، ابن عثيمين ، دار الوطن للنشر (السعودية) .

٤١- شرح رسالة تحكيم القوانين لمحمد آل الشيخ ، شرح د. سفر الحوالي ، مكتب الطيب (القاهرة) الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٤٢- شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز ، دار البصيرة (الإسكندرية) الأولى ١٩٩٩م .

٤٣- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، شرح محمد خليل هراس ، مكتبة العلم (القاهرة) .

٤٤- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، شرح ابن عثيمين ، دار الأصالة (الإسكندرية) الأولى ١٩٩٨م .

٤٥- صفة صلاة النبي (ص) ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي (بيروت) الحادية عشر ١٤٠٣هـ

٤٦- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، د. سفر الحوالي ، مكتب الطيب(القاهرة) الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

٤٧- العبودية ، ابن تيمية ، دار المدني (جدة) ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٤٨- الاعتصام ، أبو إسحاق الشاطبي ، دار الرحمة ( ) الأولى ، تقديم محمد رشيد رضا .

٤٩- العقيدة في الله ، د. عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح (الكويت) ، الثانية ١٩٧٩م .

٥٠- فاعلم أنه لا إله إلا الله ، د. صلاح الصاوي ، دار الإعلام الدولى (القاهرة) الثانية ، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

٥١- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب أحمد الدرويش ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإدارية والدعوة والإرشاد (الرياض) الثانية ١٤١٢هـ .

٥٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار الريان للتراث (القاهرة) الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

٥٣- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب ، شرح عبد الرحمن آل الشيخ ، مؤسسة قرطبة (القاهرة) تحقيق أشرف عبد المقصود .

٥٤- الفتوى الحموية الكبرى ، ابن تيمية ، تقديم محمد عبد الرازق حمزة ، مطبعة المدني (جدة) .

٥٥- فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله وجمعه ، د. محمد رسلان ، دار العلوم الإسلامية (القاهرة) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٥٦- الفوائد ، ابن القيم ، دار البيان (دمشق) الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، تحقيق بشير محمد عيون .

٥٧- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق (بيروت) الحادية عشرة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٥٨- في مجال العقيدة نقد وعرض ، غازي النوبة ، مؤسس الرسالة (بيروت) الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٥٩- القواعد الكلية للأسماء والصفات ، د. إبراهيم البريكان ، دار الهجرة (السعودية) الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

٦٠- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، ابن عثيمين ، مكتبة السنة (القاهرة) الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، تحقيق أشرف عبد المقصود .

٦١- القول السديد في كشف حقيقة التقليد ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الصحوة (القاهرة) الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٦٢- القول السديد في موضوع التفويض ، محمود عبد الرازق ، الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٦٣- القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب ، شرح ابن عثيمين ، دار الأصالة (الإسكندرية) الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٦٤- اللهم اغفر لقومي فإنهم مجتهدون ، جلسات مع جاسم الياسين ، دار الدعوة (الكويت) الأولى ١٩٩٠م .

٦٥- لماذا نرفض العلمانية ؟ ، محمد بدري ، دار ابن الجوزي (السعودية) الأولى ١٤١٢هـ .

٦٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدي الحنبلي وابنه محمد ، ط . الثانية ١٣٩٨هـ .

٦٩- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على الواسطية لابن تيمية ، عبد العزيز السلمان ، مطابع المدينة (الرياض) الثالثة عشرة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

٧٠- مختصر معارج القبول لحافظ حكمي ، اختصار د. هشام العقدة ، دار الصفوة (القاهرة) الخامسة ١٤١٨هـ .

٧١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (شرح النووي لمسلم) ، محيى الدين النووي، دار المعرفة (بيروت) الخامسة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ، تحقيق خليل مأمون شيحا .

٧٢- منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، دار الشروق (بيروت) .

٧٣- الموافقات في أصول الشريعة ، أبو إسحق الشاطبي ، دار المعرفة (بيروت) .

٧٤- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي ، تهذيب محمد بن عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء (جدة) الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

٧٥- نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية ، د. صلاح الصاوي ، طيبة (السعودية) الأولى .

٧٦- النفاق وآثاره ومفاهيمه ، عبد الرحمن الدوسري ، دار الأرقم (الكويت) الثانية ١٤٠٢هـ .

٧٧- الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ابن القيم ، دار الصحابة (طنطا) الأولى تحقيق مصطفى العدوي .

٧٨- الواضح في أصول الفقه للمبتدئين ، د. محمد الأشقر ، دار النفائس (الأردن) ودار الفتح (الأردن) الخامسة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

٧٩- الولاء والبراء في الإسلام ، د. محمد بن سعيد القحطاني ، دار طيبة (الرياض) الأولى .

مراجع التخريج

١- صحيح البخاري – ط. – دار السلام للنشر والتوزيع الرياض .

٢- صحيح مسلم – ط. – دار إحياء الكتب العربية . تحقيق فؤاد عبد الباقي .

٣- سنن أبي داود – ط. – دار الريان للتراث / صحيح سنن أبي داود – ط. – المكتب الإسلامي .

٤- سنن الترمذي – ط. – دار الحديث القاهرة .

٥- سنن النسائي – ط. – دار الريان للتراث .

٦- سن ابن ماجة – ط. – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٧- مستدرك الحاكم – ط. – دار المعرفة .

٨- صحيح ابن حبان – ط. – مؤسسة الرسالة .

٩- مسند الإمام أحمد – ط. – المكتب الإسلامي .

الفهرس

الموضوع الصفحة

١- شكر .....

٢- مقدمة .....

٣- تمهيد :

.....

٤- الإنسان وقلبه .....

٥- العلم والعمل .....

٦- مثل فأحضر قلبك .....

٧- مشروعية هذا المثل

.....

٨- شرح الشهادة الأولى :

.....

٩- مخطط شرح الشهادة الأولى

.....

١٠- التوحيد العلمي : .....

١١- توحيد الأسماء والصفات

.....

١٢- تعريف توحيد الأسماء والصفات والمحاذير الواردة عليه

.....

١٣- علاقة الأسماء بالصفات

.....

١٤- علاقة توحيد الأسماء والصفات بتوحيد الربوبية .....

١٥- قاعدة في الصفات

.....

١٦- للأسماء والصفات محوران .....
١٧- توحيد الربوبية : .....
١٨- تعريف توحيد الربوبية والمحاذير الواردة عليه .....
١٩- علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الأسماء والصفات .....
٢٠- للربوبية محوران .....
٢١- ملحوظات على التوحيد العلمي : .....
٢٢- (١) كيفية التلقي وإلزامها .....
٢٣- (٢) مدى وجود التوحيد العلمي .....
٢٤- علاقة التوحيد العلمي بالإيمان .....
٢٥- علاقة التوحيد العلمي بالتوحيد العملي .....
٢٦- ثانياً : التوحيد العملي : .....
٢٧- التعريف والدليل عليه .....
٢٨- للعمل قسمان .....
٢٩- علاقة القسمين .....
٣٠- افتراق القسمين .....
٣١- للتوحيد أصلان .....
٣٢- محاور التوحيد العملي .....
٣٣- ملحوظات على التوحيد العملي : .....
٣٤- (١) علاقة التوحيد العملي بالتوحيد العلمي .....
٣٥- (٢) دعوة الرسل .....
٣٦- (٣) الأصل في البشر .....

٣٧- (٤) سد الذرائع .....
٣٨- (٥) ركائز العبادة وشمولها .....
٣٩- شرح الشهادة الثانية : .....
٤٠- مخطط شرح الشهادة الثانية .....
٤١- المعنى العام للشهادة الثانية .....
٤٢- العلاقة بين الشهادتين .....
٤٣- الأصول القلبية للشهادة الثانية : .....
٤٤- (١) اليقين .....
٤٥- (٢) الحب .....
٤٦- (٣) التوقير .....
٤٧- (٤) الطاعة .....
٤٨- المحاور الظاهرة للشهادة الثانية .....
٤٩- (١) ترك البدع .....
٥٠- التعريف .....
٥١- النوعان .....
٥٢- حكم الابتداع .....
٥٣- (٢) ترك التقليد المذموم : .....
٥٤- تعريف التقليد .....
٥٥- الأقسام والأحكام .....
٥٦- مسائل مرتبطة بالشهادة الثانية : .....

٥٧- (١) الفرق بين كل من الاستغاثة والتوسل الممنوعين .....
٥٨- (٢) الاستغاثة بالمخلوق نوعان .....
٥٩- (٣) التوسل إلى الله – تعالى – نوعان .....
٦٠- (٤) حكمة الرسالة .....
٦١- (٥) الشفاعة .....
٦٢- (٦) محاور مناقشة أهل البدع .....
٦٣- وصية .....
٦٤- قائمة المراجع .....
٦٧- مراجع التخريج .....
٦٨- الفهرس .....